هدايات آيات الحج

من سورة الحج

Hedayaat Aayaat al-Haj men
Surat al-Haj

إعداد

د. عبد الله بن محمد بن جاكر الأنصاري

الباحث بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي
بالرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

Prepared By

Dr.Abdullah ibn Mohammed ibn Jaaker al-Ansaari

Researcher in the Islamic Scientific Research and Heritage Revival Center of the General Presidency for Affairs of the Grand Mosque and the Prophet's Mosque

ملخص البحث

يتلخص موضوع هذا البحث في تعلّقه المباشر بكتاب الله تعالى، من جهة الحديث عن: (هدايات آيات الحج من سورة الحج).

جاء ذلك في خطة -توخيتُ في فقراتها التسلسل المنطقي- اشتملت على مقدمة على أهمية وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والاجراءات البحثية.

ثم يتلو ذلك المبحث الأول: فكان في مطلبين، الأول: في بيان ثلاث مسائل ذات صلة بالهدايات القرآنية، الثاني: في بيان مسائل عن سورة الحج، ثم الخلوص إلى حديث عن (سياق آيات الحج فيها)، وهي الآيات: (٢٥-٣٧).

ويُرَى هذا المبحث الأول بمشتملاته المسلسلة بمثابة تمهيد، يُتوصَّل به للحديث عن عمق هذا الموضوع ولُبِّه، وذلك: المبحث الثاني بعده: (الهداياتُ والفوائدُ من آيات الحج في سورة الحج)، واستُهِلَّ هذا المبحثُ بتوطئة استدعاها المقام للدخول في صلبهِ، ولبغية الإشارة إلى ما مثله يُراعى في استخراج الهدايات القرآنية، ثم البداءة باستخراج الهدايات والفوائد من هذه الآيات من سورة الحج (٢٥-٣٧)، إلى نهايتها، ثم تأتي الخاتمة فالفهارس.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الكلمات المفتاحية: الهدايات القرآنية-تفسير آيات الحج-هدايات آيات الحج

ABSTRACT

The research topic is summarized in its direct relation to the Book of Allaah the Almighty, in terms of talking about: *Hedayaat Ayaat al-Haj men Surat al-Haj.* The research plan took in its paragraphs a logical sequence. It included an introduction to the importance and reasons for choosing the topic, previous studies, research plan, and research procedures. The research was in two sections. The first section of the research was divided into two parts. The first section included explanations of three issues related to the Qur'anic verses. The second section included explanations of issues related to Surat al-Haj and context of al-Haj verses from 25-37. The first section of the research is presented, with its serial contents, as a preface. It gets to the point where it reaches the depth of this topic and so on. The second section of the research *(Hedayaat Ayaat al-Haj men Surat al-Haj)* started with a preface which helped to get to the core of the research topic with paying attention to what is important when extracting verses explanations and benefits of Surat al-Haj from 25 to 37. At the end, there is the conclusion and bibliography.

And all praise is due to Allaah by Whose grace good deeds are completed

Keywords

Al-Hedayaat al-Quraneeyah – Tafseer Ayaat al-Haj – Hedaayaat Ayaat al-Haj

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

«الحمد لله، نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ١﴾ [النساء: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]»[(١)].

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى

(١) هذي هي خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه والاستهلال بها؛ لرجاء بركتها. والحديث رواه أبو داود في سننه قريبا من هذا اللفظ عن ابن مسعود ﷺ مرفوعا، وفي رواية «إن الحمد لله» في: كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، برقم: (٢١١٨)؛ والترمذي في جامعه، في: أبواب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، برقم: (١١٠٥) وقال: «هذا حديث حسن». وصححه ابنُ الملقِّن في: (البدر المنير ٧/ ٥٣١) وذكر أنه رواه أصحاب السنن الأربعة وغيرهم.

آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[(١)].

فصلوات الله وتسليماته التاماتُ المباركاتُ الزاكياتُ الطيباتُ على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين المُهدى إلى الناس مرسَلًا وآله وصحبه.

أما بعد: فخير مُفتتَح به الثناء على الله وتمجيده، وحمده بجميع المحامد التي حَمِدَ بها نفسَه وحمده بها أنبياؤه وملائكته المقربون، حمدٌ أبدأ به رجاء أن يوفقني لإصلاح عموم أحوالي وأموري، وما ينتظرني من تصرف المقادير والعواقب، متوسلا إليه بالدعاء الذي لقّنه نبيَّه محمدا ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠]، مستغيثا بـ«يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[(٢)].

ثم إنه من المعلوم ضرورة لدى المسلمين كافة ما كان لبيت الله الحرام، من الأوّليّة في السبق وفي الفضل، فاختُصَّ لأجل هذا بالآيات البينات، وبمزيدٍ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه عن كعب بن عجرة ﷺ مرفوعا في: كتاب الدعوات باب الصلاة على النبي ﷺ برقم: (٦٣٥٧)؛ ومسلم في صحيحه في: كتاب الصلاة، برقم: (٤٠٦).

(٢) هذه وصية النبي ﷺ لبنته فاطمة ﷺ، أن تقولها إذا هي أصبحت وأمست. رواه الحاكم في المستدرك، بهذا اللفظ، عن أنس ﷺ مرفوعا، في: كتاب الدعاء والتكبير، والتهليل، والتسبيح، والذكر، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، (١/ ٧٣٠)، برقم: (٢٠٠٠)؛ والبزار في مسنده، عن أنس ﷺ به، (١٣/ ٤٩)، برقم: (٦٣٦٨)، وقال الهيثمي، في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (١٠/ ١١٧)، برقم: (١٧٠٠٨): «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير عثمان بن موهب وهو ثقة».

من المزايا العاليات الساميات، والخصائص المنيفات الكريمات العتيقات، كما هو مُبيِّنٌ منوَّهٌ به في الكتاب والسنة مبثوثٌ فيهما، وكما يدل عليه قوله ﷻ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٦- ٩٧]، وفي معنى هذه الأوّليّة في وضع البيت للناس ما ثبت من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله، أيُّ مسجد وضع في الأرض أوّلُ؟ قال: «المسجد الحرام» «قال: قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» «قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه»[(١)].

ولمّا كان الحج إلى بيت الله الحرام، هو أجلُّ خصائصه، وأبرز مزاياه؛ ولما كان من سور القرآن الكريم سورة سميت استقلالا بـ(سورة الحج)، تضمنت آياتٌ منها جاءت في نسق، شعائرَ الحج ومشاعره؛ انبعثَتْ الهِمَّةُ وأُثيرَ العزمُ مني في كتابة بحث عن هدايات هذه الآياتِ في موضوع ارتأيتُ أن يكون بعنوان: (هداياتُ آياتِ الحجِّ من سورة الحج)، ورُوعي في هذا العنوان أن يكون مناسبا لحقيقة الموضوع، دالًّا على المقصود منه، كاشفا لجانب من أهم الجوانب التي تُعنى بها الدراسات القرآنية المتخصصة في مجال (الهدايات القرآنية).

(١) رواه البخاري في صحيحه بهذا اللفظ، في: كتاب أحاديث الأنبياء، باب، برقم: (٣٣٦٦)، ومسلم في صحيحه، في: كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها، برقم: (٥٢٠).

إن ذلك لَيُعَدُّ من أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع.

ثم إن هذه المقدمةَ المستهَلَّ بها انتظمت ما يلي:

أوَّلًا: أهميَّةُ الموضوعِ وأسبابُ اختيارِهِ:

سأجمل أهمية هذا الموضوع وأسباب اختيار في أمور – غير ما مرَّ آنفا- أبرزها، ما يلي:

١- تعلُّقه المباشرُ بكتاب الله تعالى، لا سيما وقد اختُصَّ مجال الهدايات القرآنية، بأن فيه تحقيقا للغاية من إنزال القرآن الكريم، وتيسيرا للوصول إلى استهداء والاسترشاد به، في عبارة موجزة مركَّزة بليغة سلسة، دونما تشتيت الذهن بمباحثَ جانبيةٍ متجاذَبةٍ، تثقل الذهن، ثم قد تحول دون الانتفاع المباشر بهدي القرآن الكريم، مع أن الشأن أيّما شأن توخِّي الاستهداء بالهدايات القرآنية، وهو الأمر ذو البال الذي يُتَغيَّا من تلاوة القرآن الكريم أو الاستماع إليه، كما يدل عليه قوله ﷻ وتقدست أسماؤه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. أي: «للطريقة التي هي أسدُّ وأعدلُ وأصوب»[(١)].

٢- أن البحث في هذا الموضوع يعتبر امتدادا لمشروع (الهدايات القرآنية)[(٢)] الذي تبنته جامعة أم القرى بمكة المكرمة، فمنها نشأتُه وانطلاقه، ثم

(١) أضواء البيان، (٣/ ١٧).

(٢) ولقد كان لفضيلة شيخي أ. د. طه عابدين حمد، فضل السبق في البروز في مجال (الهدايات =

اعتماده في تحضير رسائل الدكتوراة والماجستير للدارسين فيها، ثم تعدَّى بعدُ إلى الجامعات العالمية التي تُعنى بالدراسات القرآنية، فاعتُمِد فيها، كاعتماده في جامعة أم القرى[1].

٣- أنَّ الكتابة في موضوعٍ كهذا باستقلال، مقصدٌ من مقاصد التأليف؛ لأجل ما يُرتجَى من تعدِّي نفعه للمسلمين عامةً ولقاصدي الحرمين الشريفين من الحجاج والعمّار والزائرين خاصةً.

٤- أنه بعد الاطلاع والبحث؛ لم أقف على دراسة سابقة مُجرَّدة في هذا الموضوع على سبيل الاستقلال.

٥- أن الرغبة في الاشتغال في هذا المجال الشريف، وما عسى أن يعود عليَّ فيه من عوائد علمية، ومن بركات مرجوة؛ يُعدُّ من الأسباب والدوافع وراء اختيار هذا الموضوع.

ثانيا: أهداف البحث:

١- يهدف البحث إلى إظهار أن الكتابة في هذا الموضوع (هدايات آيات الحج من سورة الحج)؛ متفرعةٌ عن المشروع العالمي في الهدايات القرآنية،

القرآنية) تأصيلا وتطبيقا، وكانت له فيه عدة مؤلفات بعضها مطبوع، فمنها: (هدايات سورة الفاتحة)، (تفسير وهدايات جزء عم)، (تفسير وهدايات سورة الإخلاص)، (طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية الهدايات القرآنية)، و(هدايات آيات الكرسي)، و(الهدايات القرآنية-دراسة تأصيلية)، بالمشاركة مع غيره.

(١) سيأتي في الدراسات السابقة، ذكرٌ لطلائع هذه الرسائل التي أُعدَّتْ، فنوقشت في قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى.

الذي كانت نشأتُه والإعداد له من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ثم انطلق منها إلى الجامعات العالمية التي تُعنى بالدراسات القرآنية المتخصصة.

٢- يهدف البحث إلى إظهار أن تخصيص هذا الموضوع بالكتابة في مؤلَّف مستقل؛ لأجل ما ينتظم هذه الآيات في سورة الحج (من آية: ٢٥-٣٧)، في اتساقها ووحدة سياقها، وفي تناسق موضوعي[(١)].

٣- ويهدفُ البحث إلى إبراز الصور المشرقة الوضَّاءة من الهدايات والمقامات العليا والمزايا الحِسان التي تكتنف المسجدَ الحرامَ، وآمِّينَه للحج والصلاة وتأدية المناسك، ناهيكم عن ما يؤخَذُ من جملة: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]؛ من خصوصية للطائفين بالبيت وتنويهٍ بشرفهم، هم ومنْ في حكمهم من المصلين فيه القائمين الركّع السجود، إنه تنويهٌ من الله ﷻ وحفاوةٌ منه بعباده هؤلاء الذين هذه نعوتهم، وإيذانٌ بما لهم من خصوصياتٍ ومزايا في بيته الحرام[(٢)].

---

(١) ومما هو بسبيل هذا، إفراد آية أو آيات بتأليف مستقل، مثل: (هدايات آية الكرسي)، لفضيلة شيخي الأستاذ الدكتور/ طه عابدين حمد، و(هدايات آيات الصيام في ضوء تناسقها الموضوعي)، لفضيلته أيضا، و(دراسة لغوية في النص القرآني: الآيتان ١-٢ من سورة الحج)، لعبد اللطيف أحمد.

(٢) ينظر في هذا المعنى: تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٣)؛ وروح المعاني، للآلوسي، (٩/ ١٣٦)؛ ومحاسن التأويل، للقاسمي (٧/ ٢٤٠)؛ وتفسير السعدي (ص: ٥٣٧)، قال: «أي: طهره لهؤلاء الفضلاء، الذين همهم طاعة مولاهم وخدمته، والتقرب إليه عند بيته، فهؤلاء لهم الحق، ولهم الإكرام، ومن إكرامهم تطهير البيت لأجلهم».

ثالثا: الدراسات السابقة:

مما هو معلوم أن نشأة ومبتدأ الهدايات القرآنية، كان من رحم التفسير، وعليه؛ فإنه من الطبيعي أن تُرى جملةً من (هدايات آيات الحج من سورة الحج)، متناثرةً في ثنايا كتب التفسير مترامية في مطاويها، تصريحا أو تلميحا، بما تُهدي إليه عبارات كل مفسر وإشاراته في استخراج هدايات وفوائد هذه الآيات والدلالة إليها، حسب تنوع طرائق المفسرين ومناهجهم في تناول التفسير.

وفيما يتعلق بالرسائل المستقلة ذات صلة مّا بهذا الموضوع، أو بسورة الحج بوجه عام؛ فإنني توخيتُ أن أذكر منها ههنا، ما تهيَّأ لي الوقوفُ عليه من الرسائل الجامعية التي تُعنَى بمجال التخصص، وكذلك ما وجدته من البحوث المنشورة في مجلات محكمة، وذلك فيما يلي:

أولا: التفسير الموضوعي لآيات الحج، للباحث موسى عبد العزيز الدردير.

فمضمون هذه الرسالة كما هو ظاهرٌ بادٍ في عنوانها، في مجال الدراسة الموضوعية لآيات الحج، وهي آيات بعضها في سورة الحج، وبعضها في سورة البقرة وآل عمران، فالباحث يُعنَى في دراسته بالتفسير الموضوعي لآيات الحج كلها في جميع السور، بما يخدم مجال التفسير الموضوعي، ومع مراعاة ما مثله يُراعَى فيه، بينما كان موضوع بحثي عن: هدايات آيات الحج بخصوصها في سورة الحج بخصوصها.

ثانيا: رسائل دكتوراة بقسم الكتاب والسنة في جامعة أم القرى؛ وهي من طلائع الرسائل التي نوقشت ضمن موسوعة الهدايات القرآنية في الجامعة، فمنها:

- الهدايات القرآنية في سورة البقرة من الآية: (٧٥-١٤١)، للباحث: لمحمد يحيى سعد آل منشط، رسالة دكتوراة بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، برقم: (٢٤٠١٢)، ١٤٤١هـ، في المكتبة المركزية بالجامعة.
- الهدايات القرآنية في سورة البقرة من الآية: (١٤٢-٢٠٢)، للباحث: محمد إبراهيم محمد الدهيس، برقم: (٢٤٥٨٠)، ١٤٤١هـ في المكتبة المركزية بالجامعة.

وللرسالتين علاقة بموضوع بحثي من حيث إن موضوعهما في الهدايات القرآنية، ومن حيث تعرّض كل باحث بين يدي رسالته لمقدمات تعريفية للهدايات القرآنية.

ثالثا: مقال بعنوان: (من وحي آيات الحج)، للدكتور/ عبد الرحمن بن معاضة الشهري، منشور في مجلة البيان، في عددها (٣٢٨)، في ذي الحجة، عام ١٤٣٥هـ.

وبهذا يتبين أنه لم أجد كتابا أو رسالة علمية تُنوّل في أحدهما موضوع بحثي هذا بخصوصه استقلالا.

رابعا: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس علمية، على

التفصيل التالي:

١- المقدمة: وتشتمل على أهمية وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والاجراءات البحثية.

٢- المبحث الأول: مسائل عن الهدايات القرآنية، وعن سورة الحج، وسياقُ آيات الحج فيها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الهدايات القرآنية: مفهومها، أهميتها، كيفية التعبير عنها، وفيه ثلاث مسائل:

المطلب الثاني: مسائل عن سورة الحج، وسياقُ آيات الحج فيها.

٣- المبحث الثاني: الهداياتُ والفوائدُ في آيات الحج من سورة الحج.

٤- الخاتمة: وتشتمل على ذكر أهم نتائج البحث.

٥- الفهارس العامة: وتشتمل على فهرس المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

خامسا: منهجية الدراسة، والاجراءات البحثية:

يعتمد هذا البحثُ على المنهج الوصفي التحليلي في تناول (هدايات آيات الحج من سورة الحج)، متبعا في ذلك -بعون الله ومشيئته-ما يلي:

١- تناولتُ في المبحث الأول بإيجاز أهم الجوانب النظرية ذات العلاقة الوثيقة بصلب وعمق الموضوع.

٢- جاء هذا المبحث الأول – في تسلسل منطقي-بمثابة تَقدمةٍ للمبحث الثاني الذي هو لُبُّ وعمق الموضوع.

٣- راعيتُ في المبحث الثاني (الهداياتُ والفوائدُ في آيات الحج من سورة الحج)، أن يكون استخراج الهدايات من هذه الآيات وفق الضوابط والاعتبارات المرعية المعتبرة التي درج على مثلها المتخصصون في هذا المجال للدراسات القرآنية؛ ولأهمية هذا، جعلتُ له توطئة، للإلمام بأهم المعالم، والطرق والمسالك التي سلكها العلماء في هذا.

٤- جعلتُ الآيات القرآنية وفق مصحف المدينة النبوية غالبا، برواية حفص عن عاصم، مع اسم السورة ورقم الآية، وما يورد من جمل ومفردات الآيات للاستشهاد، فبين قوسين زهراوين هكذا ﴿﴾ متبوعَيْن باسم السورة ورقم الآية، فيما وُضِعَتْ الأقوالُ النصيةُ بين قوسين صغيرين هكذا «»، كما وُضِعَ ما يراد توضيحه من العبارات والجمل والعناوين بين قوسين هلالين كبيرين هكذا ().

٥- خرَّجتُ الأحاديث من مصادر السنة الأصلية، مكتفيا في الغالب عند العزو إليها بذكر اسم الكتاب، فبابه، فرقم الحديث، فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما؛ اكتفيت بتخريجه فيهما عن غيرهما، وإلا خرَّجته، من كتب السنة الأخرى، معتمدا فيما تقتضيه الصناعة الحديثية على كلام أئمة الحديث، فمن تلاهم من الحفاظ المشاهير الجهابذة الأعلام المشهود لهم بعلوِّ الكعب والاختصاص في هذا المجال، المعوَّلِ عليهم فيه، ما أمكن، مستأنسا بكلام المعاصرين.

٦- نسبت الأبيات الشعرية الـمُستشهَدَ بها إلى قائليها من مصادرها

ما أمكن، أو إلى مراجعها المعتمدة.

٧- لم أذكر عند التوثيق معلومات النشر كاملة، استغناءً بذكرها عند قائمة المصادر والمراجع.

٨- أقتصر عند العزو للمعاجم اللغوية، على الإحالة إلى جذر الكلمة، أصلِ مادتها اللغوية، مكتفيا بهذا في معرفة مظانِّها في المعاجم.

٩- اعتنيتُ بضبط ما يُشكل.

١٠-راعيتُ ما مثلُهُ يُراعَى في البحوث العلمية، من حيث التوثيقُ، والإحالة، والأمانة العلمية، والمنهجية، والموضوعية، والعلامات الإملائية، والاجرائية البحثية، في اتساق وحسن تنسيق وترتيب ما أمكن.

وكتب:

الدكتور/ عبد الله بن محمد بن جاكر الأنصاري

مكة المكرمة- ١٤٤٢هـ

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

مسائل عن الهدايات القرآنية، وعن سورة الحج، وسياقُ آيات الحج فيها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الهدايات القرآنية: مفهومها، أهميتها، كيفية التعبير عنها، وفيه ثلاث مسائل.

المطلب الثاني: مسائل عن سورة الحج، وسياقُ آيات الحج فيها.

المطلب الأول

الهدايات القرآنية: مفهومها، أهميتها، كيفية التعبير عنها، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: مفهوم الهدايات القرآنية.

المسألة الثانية: أهمية الهدايات القرآنية.

المسألة الثالثة: تعبير أهل العلم عن الهدايات القرآنية.

المسألة الأولى

مفهوم الهدايات القرآنية، والعلاقة بينها وبين التفسير والاستنباط

(الهدايات): جمعٌ يجيءُ المفردُ منه على (هِداية)، مصدر فعْل (هَدَى)، وفي لسان العرب: «وَقَدْ هَداه هُدًى وهَدْيًا وهِدَايةً وهِدْيَةً وهَداه للدِّين هُدًى»[(١)].

والجذر الذي اشتُقَّتْ منه تصاريف هذا المعنى، هو مادة (هَدَيَ)، كما ذكر ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، مبينا ما يندرج تحت هذا الجذر من المعاني الأصلية، فقال: «الهاءُ والدال والحرف المعتلُّ: أصلان، أحدهما التَّقَدُّمُ للإرشادِ، والآخَرُ بَعْثَةٌ لَطَفٍ»[(٢)].

و(البَعْثَةُ) أي: المرَّة من البعْث، وَكُلُّ شَيْءٍ أَثَرْته فَقَدْ بَعَثْتَهُ[(٣)]. و(اللَّطَف)، بمعنى التحفة والهدية، وألطفه بكذا، أي: برَّه به، يقال جاءتنا لَطَفَةٌ من فلان، أي هديَّة. والمُلاطَفَةُ: المُبارَّةُ. والتَلَطُّفُ للأمر: الترفُّق له[(٤)].

ومن المعاني التي هي ناظرة إلى الأصل الأول (التقدم والإرشاد)؛ قولهم: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَيْ تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشِدَهُ، وأقبَلَتْ هَوَادِي الْخَيْلِ، أي: أعناقها، وهاديها: المتقدِّم منها، وكل متقدِّم فهو هادٍ باسم الفاعل، كقول

(١) مادة: (هَدَيَ)؛ وينظر: القاموس المحيط؛ وتاج العروس، للزبيدي (هَدَيَ).
(٢) مقاييس اللغة، (هَدَيَ).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (١/ ١٣٨).
(٤) الصحاح، للجوهري، ولسان العرب، لابن منظور، مادة: (لَطَف).

الشاعر[1]:

إِذَا كَـانَ هَـادِي الْفَتَـى فِـي الْـبِلَا ❁ دِ صَـــدْرُ الْقَنَـــاةِ أَطَـــاعَ الْأَمِيـــرَا

كما يرجع إلى الأصل الآخر (بَعْثَةُ لَطَفٍ) معان منها: الهديَّة، وهي ما أُهدِيَ مِنْ لَطَفٍ إلى ذِي مودَّةٍ، والهدْيُ والهَدِيُّ: ما أُهْدِيَ من النَّعَمِ إلى الحَرَمِ قُرْبَة إلى الله ﷻ، والهَدِيُّ، أي: العَرُوسُ وقد هُدِيَتْ إلى بَعْلِهَا هِدَاءً، ومن هذا قول الشاعر[2]:

فَـــإِنْ تَكُـــنِ النِّـــسَاءُ مُخَبَّـــآتٍ ❁ فَحُـــقَّ لِكُـــلِّ مُحْـــصَنَةٍ هِـــدَاءُ[3]

وتُطْلَقُ الهداية على معان بعضها من بعض، لا تخرج جميعُها عن الأصلين اللذين ذكرهما ابن فارس فيما تقدم آنفا، وهما (التَّقَدُّمُ للإرشادِ، والآخَرُ بَعْثَةُ لَطَفٍ)، وذلك مثل: الإرشاد، والبيان، والتبصير والتعريف بالخير، والدلالة إليه، والتوجيه، والاستقامة، والإقامة على الإيمان، وإصلاح الحال، والتسديد، والتوفيق، وغيرها، وهي معان تدور حول ما يُضادُّ الإضلال، ومِما هو بسبيل هذا أن من أسماء الله سبحانه تعالى (الهادي)، أي: الذي بَصَّرَ عبادَه

(١) هو الأعشى: ميمون بن قيس، الشاعر الجاهلي، والبيت في: عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، (٤/ ٦٧)، وفي: الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، (١/ ٢٦١).

(٢) هو زهير بن أبي سُلمى، الشاعر الجاهلي المشهور، والبيت في: المعاني الكبير في أبيات المعاني، لابن قتيبة الدينوري، (١/ ٥٩٣).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، (هَدَيَ).

وعرَّفَهم طريقَ معرفته حتى أقرُّوا برُبُوبيَّته، وهَدى كلّ مخلوقٍ إلى ما لا بدّ له منه في بقائه في الدنيا وإصلاح معيشته فيها. ومما يُراد بالهُدَى في استعمالاته: الطريقُ، والطاعة والورَعُ، والنهارُ[(١)]، وإخراجُ شيءٍ إلى شيء، وهو أي: الهُدَى يُذكَّرُ كقوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾، ويؤنث، فيقال: هذهِ هُدًى مُسْتَقِيمَةٌ[(٢)].

و(الهُدَى) يُطلَق حقيقةً في الظاهر المحسوس، مجازا في الطريق المعنوي[(٣)].

وبهذا يتبينُ أن مادة: (هَـ دَ يَ) بتصاريفها المتنوعة، تدور معانيها وإطلاقاتها في اللغة في فَلَك ذينك الأصلين الآنفين: (التَّقَدُّمُ للإرشادِ، والآخَرُ بَعْثَةُ لَطَفٍ).

ولهذا اختُصَّت الهداية وما تصرف منها من معان مهما تنوعت للدلالة على وجه التلطف، وعلى وجه إرادة الخير[(٤)].

ومن هذا، ورود كلمة (الهُدَى) في مواضعَ من القرآن الكريم بعدة معان، لذا جعلها بعضُ مشاهير علماءِ علوم القرآن من (علم الوجوه والنظائر)[(٥)].

---

(١) ومن إطلاق (الهُدَى) مرادا به (النَّهارُ) -كما في لسان العرب، مادة: (هَدَيَ)-، قولُ الشاعر:
حَتَّى اسْتَبَنْتُ الهُدى، والبِيدُ هاجِمةٌ... يخْشَعْنَ فِي الآلِ غُلْفاً، أَو يُصَلِّينا

(٢) ينظر: لسان العرب، (هَدَيَ).

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة، (هَدَيَ)؛ والصحاح للجوهري(هَدَيَ).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١/ ١٨٧).

(٥) ينظر: الهدايات القرآنية – دراسة تأصيلية، (١/ ٢٧).

فمن أهم هذه المعاني التي يأتي (الهُدَى) في القرآن الكريم دالا عليها مستعمَلا فيها: الإلهام، الإرشاد والدلالة، البيان، الدليل والبينة، المعرفة، الاستبصار، التعليم، الصواب، التوفيق، السنة، الطريق الواضح، الثبات والزيادة، الدعوة، الإصلاح، وقد ورد (الهُدَى) في القرآن الكريم دالا على كلٍّ من هذه المعاني مستعمَلا فيها، وبمعنى الهِداية[1].

قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢): «والهُدَى والهِدَايَةُ في موضوع اللّغة واحد لكن قد خصّ الله ﷻ لفظة الهدى بما تولّاه وأعطاه، واختصّ هو به دون ما هو إلى الإنسان نحو: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥]»[2].

وبعد هذا التعريف للهداية في اللغة؛ فإن هذا مؤذِنٌ لتعريفها في الاصطلاح، فعُرِّفت فيه، بتعاريف منها:

١- قول الراغب الأصفهاني: «الهداية دلالة بلطف، ومنه: الهديّة، وهوادي الوحش. أي: متقدّماتها الهادية لغيرها، وخصّ ما كان دلالة بِهَديتُ، وما كان إعطاء بأهديتُ»[3].

٢- قول الجرجاني: «الهداية: الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد

(١) ينظر: الهدايات القرآنية – دراسة تأصيلية، (١/ ٢٨ –٣٩).
(٢) المفردات في غريب القرآن، (ص: ٨٣٨–٨٣٩).
(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٣٥)؛ وينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي (ص: ٣٤٣).

يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب»[(١)].

٣- قول ابن عاشور: «والهداية في اصطلاح الشرع حين تُسنَد إلى الله تعالى هي الدلالة على ما يرضي الله من فعل الخير ويقابلها الضلالة وهي التغرير»[(٢)].

٤- واختار الأستاذ الدكتور/ طه عابدين حمد تعريفها بأنها: «الدلالة المبيِّنة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير، وتمنع من كل شر»[(٣)]، معلِّلا اختياره هذا التعريفَ، بأن «فيه تحديد مصطلح الهدايات بما لا يخرج عن الدلالة والإرشاد، لبيان ما هدى إليه القرآن الكريم في منطوقه ومفهومه، وجاء فيه من إرشادات تُهدي مَنْ فهمها وعمل بها لِما يُحقق له سعادة الدارين»[(٤)].

وهذا تعليلٌ وجيه لاختيار هذا التعريف الاصطلاحي للهدايات القرآنية، ويبدو أنه لو اقتصر فيه شيخنا يحفظه الله على جملة: «الدلالة المبيِّنة لإرشادات القرآن الكريم»، لكان كافيا في الوفاء بالغرض، سالما من الإيرادات، بما يغني عن قيده بجملة: «التي توصل لكل خير، وتمنع من كل شر»، حيث إن المعنى الذي تقتضيه «الدلالة المبيِّنة لإرشادات القرآن الكريم»، لا يكون إلا موصِّلا لكل خير مانعا من كل شر.

---

(١) التعريفات (ص: ٢٥٦).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ١٨٨).

(٣) الهدايات القرآنية – دراسة تأصيلية، (١/ ٤٤).

(٤) ينظر: نفسه، ونفس الموضع.

وهذا التعريف من الأستاذ الدكتور/ طه عابدين حمد: «هو التعريف الذي استقرت عليه الدراسة التأصيلية لمشروع الهدايات القرآنية»[(١)].

وذلك أنه عُني فيه بالتعريف الاصطلاحي للهدايات القرآنية، بينما «الملاحظ في جميع التعاريف السابقة أنها جاءت لمعنى الهداية كلفظة مفردة، ولم تتطرق إلى الهدايات القرآنية كمصطلح علمي خاص. وهذا غير مراد فالمقصود هنا هو بيان معنى الهدايات القرآنية...»[(٢)]، أي: كما هو الشأن في المصطلحات العلمية ذات الطابع الخاص بها.

ثم إنه جاء استعمال الهداية في القرآن الكريم على أربعة أوجه، ذكرها الراغب الأصفهاني، فقال:

«الأوّل: الهداية التي عمّ بجنسها كلّ مكلّف من العقل، والفطنة، والمعارف الضّروريّة التي أعمّ منها كلّ شيء بقدر فيه حسب احتماله كما قال: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إيّاهم على ألسنة الأنبياء، وإنزال القرآن ونحو ذلك، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣].

---

(١) الهدايات القرآنية في سورة البقرة من الآية: (١٤٢-٢٠٢)، للباحث: محمد إبراهيم محمد الدهيس، رسالة دكتوراة بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، برقم: (٢٤٥٨٠)، ١٤٤١هـ، (ص: ٢١).

(٢) نفسه، (ص: ٢٢).

الثالث: التّوفيق الذي يختصّ به من اهتدى، وهو المعنيّ بقوله تعالى: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً [محمد: ١٧]، وقوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ﴾ [يونس: ٩]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢١٣].

الرّابع: الهداية في الآخرة إلى الجنّة المعنيّ بقوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥]، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

وهذه الهدايات الأربع مترتّبة، فإنّ من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثّانية بل لا يصحّ تكليفه، ومن لم تحصل له الثّانية لا تحصل له الثّالثة والرّابعة، ومن حصل له الرّابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها، ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللّذان قبله، ثمّ ينعكس، فقد تحصل الأولى ولا يحصل له الثاني ولا يحصل الثالث، والإنسان لا يقدر أن يهدي أحدا إلّا بالدّعاء وتعريف الطّرق دون سائر أنواع الهدايات... وكلّ هداية ذكر الله ﷻ أنه منع الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة، وهي التّوفيق الذي يختصّ به المهتدون، والرّابعة التي هي الثّواب في الآخرة، وإدخال الجنّة. نحو قوله ﷻ: {كيف يهدي الله قوما إلى قوله: والله لا يهدي القوم الظالمين} [آل عمران: ٨٦] وكقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٧]، وكلّ هداية نفاها الله عن النبيّ ﷺ وعن

البشر، وذكر أنهم غير قادرين عليها فهي ما عدا المختصّ من الدّعاء وتعريف الطريق، وذلك كإعطاء العقل، والتّوفيق، وإدخال الجنة، كقوله عزّ ذكره: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [النمل: ٨١]، ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦]»[(١)].

ويتبين من كلام الراغب الأصفهاني ههنا، أن المقصود من تعريف الهدايات القرآنية في الاصطلاح ههنا؛ هو الوجه الذي تتعلق فيه الهداية بفعل العبد: من بيان، وإرشاد ودلالة، ودعوة، دون الوجوه التي تتعلق فيها الهداية بفعل الله ﷻ، كهداية الإلهام الفطري، وهداية التوفيق والتأييد، والهداية التي تتعلق بالآخرة.

العلاقة بين الهدايات القرآنية وبين التفسير والاستنباط:

إن المفيد ههنا، أن يُشارَ إلى أن بين مفهوم الهدايات، وبين التفسير[(٢)] والاستنباط[(٣)]، علاقةً وثيقةً وتلازما متأكّدا.

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٣٥-٨٣٦)، بتصرف يسير.

(٢) ينظر تعريف التفسير لغة واصطلاحا في: التفسير اللغوي، لمساعد بن سليمان الطيار، (ص٢١، وما بعدها).

(٣) ينظر: تعريف الاستنباط لغة واصطلاحا في: منهج الاستنباط من القرآن، لفهد الوهبي، (ص: ٣٠، وما بعدها)، وفي (ص: ٤٤)، استظهر أن المختار في تعريف الاستنباط اصطلاحا – بعد إيراده الأقوال في هذا ومناقشتها-أنه: «استخراج ما خفي من النص، بطريق صحيح».

فأما التفسير، ففي رحمه نشأَتْ الهداياتُ القرآنية ابتداءً؛ ولهذا فإنها تابعةٌ للتفسير، معتمدةٌ عليه، ملتصِقةٌ به، فلئن كان شأن التفسير أن يقف عند بيان المعنى غالبا، فإن شأن مجال الهدايات أن يُنظَر فيه إلى ثمرة فهم المعنى[(١)]، وعلى خلاصة ما يستفاد من معنى الآية من دلالات وإرشادات[(٢)].

وأما الاستنباط -وهو ناظرٌ إلى التفسير راجع إليه -؛ فكما أنه وسيلة من وسائل الوصول للمعنى الكامل (التفسير)، فإنه كذلك من وسائل استخراج الهدايات الدقيقة؛ إذ لا يمكن استكمال هدايات بعض الآيات بدونه، وبعض الهدايات لا يُحتاج في استخراجها إليه. فهو أي: الاستنباط من العلوم المكملة لبيان الهدايات، فيُوظَّفُ لاستخراج الهدايات والمعاني والنكت الخفية بصورة أوسع، ومن هنا فإن الهدايات والاستنباط من حيث الممارسة متداخلان؛ لأنهما معا من علوم التفسير[(٣)].

(١) ينظر: طرق استخراج العلماء للهدايات القرآنية، لطه عابدين حمد، (ص: ٢٨٦).
(٢) ينظر: الهدايات القرآنية – دراسة تأصيلية، (١/ ٥٣-٥٤).
(٣) ينظر: الهدايات القرآنية – دراسة تأصيلية، (١/ ٥٧ -٥٨).

المسألة الثانية

أهمية الهدايات القرآنية

الهدايات القرآنية أمرها عظيم، وشأنها جَلَل، وأثرها بليغ؛ لِما تشتمل عليه من الإرشاد والدلالة إلى الهدى والخير.

ذلك من جملة ما يستدعي الحديث عن أهمية الهدايات القرآنية، بما سيوجَز في هاتين الفقرتين، وبما هو مناسب للمقام والسياق:

١- أهمية الهدايات القرآنية، من جهة موضوعها وأثرها.

٢- أهمية الهدايات القرآنية، من جهة غاياتها وأهدافها.

١- أهمية الهدايات القرآنية، من جهة موضوعها وأثرها.

تأتي أهمية الهدايات القرآنية من جهة موضوعها، في أن موضوعها هو القرآن الكريم، وهو ما يدل على عظيم أهميتها، وجلالة قدرها.

فالقرآن الكريم، هو كتاب الله الذي كثُرَت أسماؤه فبلغت مائة اسم كما ذكر الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، ولكلٍّ من هذه الأسماء دلالاتٌ تدل بمجموعها على شرف القرآن الكريم، وكماله، ورفعة قدره، وكثرة فضائله وأفضاله، وعلى جميل النعوت والمزايا التي يختص بها دون غيره من الكتب، وأنه هو الهُدى، وهو الكتاب العزيز، والنور المبين، والصراط المستقيم، وهو الفرقان، والذكر الحكيم، وهو الموعظة والشفاء لما في الصدور، إلخ[(١)].

(١) **ينظر:** بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٨٨-٩٦).

واسم (القرآن) هو أشهر هذه الأسماء وأكثرها ورودا في آياته وأشهرها دورانا على ألسنة السلف، ولم يُسبق أن أُطلق على غيره من الكتب قبله[(١)].

ولهذا؛ فإن من المتقرر المعلوم من الدين بالضرورة، أن كتاب الله ﷻ هو: «كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من دين الأمة»[(٢)].

ثم إن هذه الأهمية للهدايات القرآنية من جهة موضوعها، تستدعي حديثا عن أهميتها من جهة عظيم أثرها على الفرد، وعلى المجتمع.

فأما أثرها على الفرد؛ فلأن «الهدايات القرآنية هي التي صححت عقائد أفراد الأمة من الشرك إلى التوحيد، ومن الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، وهي التي غيرت نفوسهم، وأصلحت أحوالهم من الجهل إلى العلم، ومن الباطل إلى الحق، ومن الظلام إلى النور، ومن الذل إلى العز، ومن الموت إلى الحياة، ومن التيه إلى الهدى، ومن الغفلة إلى التذكر، ومن الضيق إلى السعة، ومن الخوف إلى الأمن، وهي حملتهم إلى العبادات الحقة، وأكسبتهم الآداب، والمكارم الفاضلة، وزكت نفوسهم، وطهرتها من الدنس والرذائل، وجعلتهم رحمة للعالمين، فنقلتهم من الكذب إلى الصدق، ومن

(١) التحرير والتنوير (١/ ٧١)، بتصرف يسير.
(٢) الموافقات، للشاطبي، (٤/ ١٤٤).

الظلم إلى العدل، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق...» إلخ[(١)].

وبهذا يتبين أنّه مهما استهدى الفرد بالهدايات القرآنية، فإنه حري بأن يكون مسدَّدا موفَّقا، وبأن يكون من أهل السعادة الحقيقية ومن الآمنين المطمئنين، وبأن يكون في منجاةٍ عن مسالك الشقاء والضلال والعمى، وفي منجاة عن الوعيد المنتَظَر للمخالف لأوامر الله ﷻ، المعرض عن ما يهدي إليه القرآن الكريم، الآخذ هداه من غيره، كما قال ﷻ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤]، جاء في تفسير ابن كثير يرحمه الله: «﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي ضنكا في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة»[(٢)].

قال ابن تيمية: «وإذا كان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد [ﷺ] فكل من كان إلى ذلك أقرب وهو به أشبه كان إلى الكمال أقرب وهو به أحق. ومن كان عن ذلك أبعد وشبهه به أضعف كان عن الكمال أبعد وبالباطل أحق»[(٣)].

---

(١) الهدايات القرآنية-دراسة تأصيلية (١/ ٩٥-٩٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٢٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٧٥).

وأما أهمية الهدايات القرآنية من جهة أثرها على المجتمع، فكونها هي التي حولت الجزيرة العربية من عبادة الأصنام إلى عبادة الرحمن، ومن التفرق والشتات وقطع الأرحام، إلى الاعتصام بحبل الله، وإلى الوئام، وصلة الأرحام، ومن الضعف والضياع والهوان والتشرذم إلى القوة والعزة والرفعة[1].

تلك هي معانٍ جاءت مبيَّنةً في القرآن الكريم مقرَّرَةً فيه في وضوح وبيان ناصح، كما في قول الله ﷻ: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠١- ١٠٣].

وجاء في خبر الهجرة للحبشة عن أمِّ سلمة رضي الله عنها زوجِ النبي ﷺ، وهي تروي ما أجاب به جعفرُ بن أبي طالب رضي الله عنه النجاشيَّ، عندما سأله هو والوفد معه: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ

(١) الهدايات القرآنية-دراسة تأصيلية (١ / ٩٧)، بتصرف يسير.

نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ (كهيعص)، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُم إليكُم أَبَدًا، وَلا أُكَادُ[1].

(١) رواه أحمد في المسند مطوَّلا، برقم: (١٧٤٠)، قال محققو المسند (٣/ ٢٦٨): «إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق، فقد روى له مسلم متابعة، وهو صدوق حسن الحديث إلا أنه مدلس، لكنه هنا صرح بالتحديث فانتفت شبهة تدليسه»؛ والطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٧٨٧١)، وذكره الهيثمي في: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، برقم: (٩٨٤٢)، قال (٦/ ٢٧): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق، وقد صرح بالسماع».

وهكذا نجد هذا القرآن الكريم، قد أثّرت هداياته على مسيرة الإنسانية بصورة لا نظير لها، وذلك أن الهدايات القرآنية روح تحيي، ونور يهدي، وحِكَمٌ تسددُ، جمعت كل صنوف العلم والحكمة للفرد والجماعة، وهدت لأعظم ما في الوجود من مُثُلٍ وأخلاق ترقي بالإنسانية، وتحقق لها الشفاء الذي تصبو إليه من جميع عللها، بما لها من أثر بالغ في تهذيب وإصلاح النفوس البشرية، قال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١]، وقال ﷻ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، وإذا كان القرآن الكريم بهداياته، هو الذي أحدث ذلك الأثر العظيم في تاريخ الأمة، فهو نفسه المصدرُ الحقُ العتيقُ الذي متى رجعت إليه الأمة؛ أحدث لها بهداياته نفسَ الأثر العظيم، لو تحقق الإيمان واليقين بالله ﷻ، وصدقت النيات والعزائم[(١)].

٢- أهمية الهدايات القرآنية، من جهة غاياتها وأهدافها:

إن للهدايات القرآنية أهميةً بالغة من جهة غاياتها وأهدافها، لِما تهدف إليه من غايات نبيلة شريفة جليلة القدر، كما يدل على هذا جملة أمور، أبرزها ما يلي:

---

(١) الهدايات القرآنية – دراسة تأصيلية، (١/ ٩٨-٩٩)، بتصرف يسير؛ **وينظر**: الهدايات القرآنية في سورة البقرة من الآية: (١٤٢-٢٠٢)، للباحث: محمد إبراهيم محمد الدهيس، رسالة دكتوراة بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، برقم: (٢٤٥٨٠)، ١٤٤١هـ، (ص: ٢٤-٣٣).

أولا: إخراج الناس من الظلمات إلى النور:

وهذا يشمل إخراج الناس من جميع أنواع الظلمات التي تغشاهم ويتخبطون فيها إلى النور، ومن أفراد هذا إخراجهم من ظلمات الكفر والشرك والضلال والمعصية إلى نور الإيمان والعلم والهُدى والطاعة، ومن ظلمات الخرافة والتيه والغواية والظلم والتفرق والعداء والضنك، إلى نور الحق والرشد والعدل والمحبة والأمن والسعادة، ومن ظلمات الشك والريب والاضطراب والقلق والتذبذب، إلى نور اليقين والاطمئنان والسكينة، ومن ظلمات البدعة إلى نور السنة والاتباع، ثم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان وجمال الإسلام الدين الحق، إلى غير ذلك من أنواع الظلمات التي لا يملك الناسُ صرفَها عن أنفسهم، لولا ما منَّ الله ﷻ به عليهم من الهداية إلى صراطه المستقيم، بما أنزل عليهم هذا القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١]، وقال الله ربنا وتقدست أسماؤه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩﴾ [الحديد: ٩]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، وقال ﷻ:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣][(١)].

ثانيا: هداية العباد للتي هي أقوم:

إن هداية العباد للتي هي أقوم، لهي أبرز الأهداف السامية التي تتغياها الهدايات القرآنية، كما بيَّن الله ﷻ بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩﴾ [الإسراء: ٩]، قال الشيخ الشنقيطي: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهدا برب العالمين جل وعلا، يهدي للتي هي أقوم؛ أي: الطريقة التي هي أسد، وأعدل، وأصوب... وهي توحيد الله، والإيمان برسله. وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن، من الهدى إلى خير الطرق، وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم؛ لشمولها لجميع ما فيه من الهدى، إلى خيري الدنيا والآخرة»[(٢)].

---

(١) ينظر: جامع البيان، (٧/ ٢٦٧، ١٠/ ١٤٤-١٤٥، ١٦/ ٥٠٩، ٢١/ ٥٥٩-٦٠٣، ٢٣/ ١٧٣)؛ والنكت والعيون للماوردي، (٢/ ٢٢، ٣/ ١٢٠، ٥/ ٢١٢-٢١٣)؛ وفتح القدير للشوكاني، (٢/ ٢٨-٣٠، ٣/ ١١١-١١٢، ٤/ ٦٢٤-٦٢٥)؛ والهدايات القرآنية – دراسة تأصيلية، (ص: ٨٥-٨٧).

(٢) أضواء البيان (٣/ ١٧)؛ وينظر: الهدايات القرآنية – دراسة تأصيلية، (١/ ٨٧-٨٨).

المسألة الثالثة

تعبير أهل العلم عن الهدايات القرآنية

إن لهذه المسألة: (تعبير أهل العلم عن الهدايات القرآنية)، أهميةً بين يدي هذا البحثِ، لاسيما عند المبحث الثاني منه: (الهداياتُ والفوائدُ في آيات الحج من سورة الحج)؛ ليقف القارئ على الاستعمالات المتعددة المتنوعة، التي درج أهل العلم على التعبير بها عن مفهوم (الهدايات القرآنية).

جاء في كتاب: (الهدايات القرآنية-دراسة تأصيلية)، أنه بعد التتبع وُجِد أن لعلماء التفسير سبعةَ إطلاقاتٍ متنوعةً – تتفق أو تقارب معنى الهداية في اللغة، واستعمالها في القرآن-يُعبِّرون بها عن مفهوم (الهدايات القرآنية) بصورة بارزة، وهي:

١- الدلالة، فيقال: تدل هذه الآية، أو دلت على كذا.

٢- الإرشاد، كأن يقال: ترشد هذه الآية، أو أرشدت إلى كذا.

٣- الفائدة، فيقال: تفيد هذه الآية، أو أفادت كذا.

٤- البيان، فيقال: تُبيِّنُ هذه الآية، أو بينت كذا.

٥- الإشارة، فيقال: تشير هذه الآية، أو أشارت إلى كذا.

٦- الفهم، فيقال، يُفهَمُ من هذه الآية، أو أفهمت كذا، وكأن يقال: وفي الآية كذا.

٧- الأخذ، فيقال: يؤخذ من هذه الآية، أو أُخذ منها كذا.

فهذه هي الألفاظ البارزة التي يعبّر بها المفسرون عن مفهوم الهدايات المستفادة من الآيات، حسب ما ظهر بالبحث والتتبع، وهناك ألفاظ أخرى عبّر بها بعض المفسرين بصورة قليلة، وهي: (الإيماء، والتنبيه، والإيحاء، والتضمين، والمقصد، والثمرة، وغيرها)[1].

قلتُ: وبهذا يتضحُ أنه مهما تعددت هذه الإطلاقاتُ والاستعمالاتُ التي يُعبِّر بها العلماءُ عن مفهوم (الهدايات القرآنية)، فإن هذا ليس مُشكِلا، بل الشأن فيه هو قبيل التنوع والتفنن في عباراتٍ مُؤدَّاها واحدٌ، ومآلها جميعُها ناظرٌ إلى معنى ومدلول يجمعها.

إنه الأمر الذي يرتفع معه إيهامُ أيّ لَبس، أو إشكالٍ في ورود أيٍّ من هذه الإطلاقات والاستعمالات، عند استخراج الهدايات والفوائد القرآنية.

(١) (١/ ٥٨-٧٠) باختصار.

المطلب الثاني

مسائل عن سورة الحج، وسياقُ آيات الحج فيها

أولا: مسائل عن سورة الحج.

ثانيا: سياق آيات الحج في سورة الحج.

أولا: مسائل عن سورة الحج

سأقتصر ههنا على ثلاث مسائل في التعريف بسورة الحج، لعلاقة هذه المسائل الوثيقة بسياق آيات الحج في سورة الحج، وهي:

١- اسم السورة، ووجه تسميتها به، ووجه اختصاصها.

٢- أحوال نزولها.

٣- ما ورد في فضلها.

اسم السورة ووجه تسميتها به ووجه اختصاصها:

إن أسماء سور القرآن الكريم توقيفيةٌ من النبي ﷺ، أو بما حفظه الصحابة عنه ﷺ، هكذا عند جمهور العلماء[(١)]. وقد ثبت أسماءُ السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار[(٢)]؛ ولهذا فإن الراجح أن تعدد أسماء بعض السور واقعٌ، ولكن يحكم بتوقيفية الاسم الذي اشتهرت وعرفت به السورة من النبي ﷺ، أو بالذي حفظه الصحابة عنه ﷺ، وما عدا ذلك فتسميةٌ اجتهادية لُمحَ فيها بعض أوصاف السورة[(٣)].

---

(١) **ينظر:** الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٦٦)؛ والتحرير والتنوير (١/ ٨٥ -٨٦، ٩١)؛ ودراسات في علوم القرآن، لفهد بن عبد الرحمن الرومي، (ص١١٧)؛ وأسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة محمد ناصر الدوسري، (ص: ٧٨-٧٩).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٦٦).

(٣) **ينظر:** التحرير والتنوير (١/ ٩١)؛ وأسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة محمد ناصر الدوسري، (ص: ٧٨-٧٩).

وبهذا الاعتبار يكون لبعض السور عدة أسماء[(١)].

ثم إن الاسم التوقيفي لهذه السورة، هو (سورة الحج)، فقد اشتهرت تسميتها به من عهد النبي ﷺ، وعهد الصحابة رضوان الله عليهم، وبهذا الاسم كتبت في المصاحف وفي كتب التفسير والحديث[(٢)]، يدل لهذا، حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين؟ قال: «نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما»[(٣)]. ولم يُعلم لهذه السورة اسم آخر غير هذا الاسم التوقيفي، فليس لها اسم غيره[(٤)].

ولذلك لم تُعَدّ في عداد السور ذوات الاسمين فأكثر[(٥)].

«ووجه تسميتها سورة الحج أن الله ذكر فيها كيف أمر إبراهيم عليه السلام بالدعوة إلى حج البيت الحرام، وذكر ما شرع للناس يومئذ من النسك تنويها بالحج وما فيه من فضائل ومنافع، وتقريعا للذين يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام، وإن كان نزولها قبل أن يفرض الحج على المسلمين بالاتفاق،

---

(١) **ينظر:** الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٦٦-١٧٨).

(٢) **ينظر:** التحرير والتنوير (١٧/ ١٧٩)؛ وأسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة الدوسري، (ص: ٢٧٤).

(٣) سيأتي تخريجه قريبا، عند الحديث عن ما ورد في فضل سورة الحج.

(٤) **ينظر:** التحرير والتنوير (١٧/ ١٧٩)؛ وأسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة الدوسري، (ص: ٢٧٤-٢٧٥).

(٥) **ينظر:** أسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة الدوسري، (ص: ٢٧٥).

وإنما فرض الحج بالآيات التي في سورة البقرة وفي سورة آل عمران»[(١)]، ولإعلان فريضة الحج فيها على الناس، على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ بعد بناء البيت العتيق، فأذن، فبلغ صوته أنحاء الأرض، وأسمع النُّطَف في الأصلاب والأجنة في الأرحام، وأجابوا النداء: «لبيك اللهم لبيك»[(٢)].

واختصت سورة الحج بأمور منها:

أ- أنها هي السورة الوحيدة التي اختصت بأن سميت بركن من أركان الإسلام.

ب- واختُصت بأنها «من أعاجيب سور القرآن؛ لأن فيها مكيًا، ومدنيًا، وحضريًا، وسفريًا، وحربيًا، وسلميًا، وليليًا، ونهاريًا، وناسخًا، ومنسوخًا»[(٣)].

ت- واختصت بأن فيها أول آية نزلت في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾[(٤)].

ث- واختُصت بأنها ثالثةُ سور جاء فيها ذكر الإلحاد، والاثنتان:

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ١٧٩)؛ وينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٧/ ١٤٨)؛ وأسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة الدوسري، (ص: ٢٧٤).

(٢) التفسير المنير للزحيلي (١٧/ ١٤٨).

(٣) ما بين القوسين قولُ هبة الله بن سلامة، نسبه إليه ابن الجوزي في: (زاد المسير، ٣/ ٢٢٠)، بينما نسبه الشوكاني في: (فتح القدير، ٣/ ٥١٣) للغزنوي؛ وينظر: (الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١).

(٤) جاء في أثر ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: هي أول آية نزلت في القتال. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (٢/ ٧٠٥-٧٠٧).

الأعراف، في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٨٠]، وفصلت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ﴾ [آية: ٤٠].

أحوال نزول سورة الحج

أحوال النزول يُطلَقُ على أمور[(١)]، سنقتصر منها في هذه المقدمات التعريفية لسورة الحج على: مكان وزمن نزولها.

سورة الحج، من السور المختَلف فيها، هل هي مكية أو مدنية؟[(٢)].

فعند بعض المفسرين، أنها مكية سوى آيتين، أو آيات منها[(٣)]، ومنهم من لم يذكر غير أنها مكية[(٤)]، وعند بعضهم أنها مدنية، إلا آيات منها فبين مكة

(١) «المراد بـ(أحوال النزول): ما يحتفُّ بنزول القرآن الكريم من هيئاتٍ وأوقاتٍ يُتوصَّلُ بها إلى معرفة معانيه»، وهذا يشمل أنواعا من الأحوال مثل: زمن ومكان النزول (المكي والمدني) وقصص الآي، وأسباب النزول وهي أخصها. الاستدلال في التفسير – دراسةٌ في منهج ابن جرير الطبري في الاستدلال على المعاني في التفسير، لنايف بن سعيد بن جمعان الزهراني، (ص: ٤٦٢ –٤٦٣).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ١٨٨).

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب المالكي (٧/ ٤٨٣٣)؛ وتفسير البغوي، (٥/ ٣٦١)؛ والمحرر الوجيز، (٤/ ١٠٥)؛ وزاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٢٠)؛ ومفاتيح الغيب، (٢٣/ ١٩٩)؛ والجامع لأحكام القرآن، (١٢/ ١)؛ وروح المعاني، (٩/ ١٠٥).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥/ ٣٨٩)؛ وروح المعاني، (٩/ ١٠٥).

والمدينة[(١)].

قال ابن عاشور: «واختلف في هذه السورة: هل هي مكية أو مدنية، أو كثير منها مكي وكثير منها مدني؟»[(٢)].

وعند الجمهور أنها مختلطة فيها مكي ومدني[(٣)]، «وإن اختلف في التعيين»، كما قال الألوسي[(٤)].

قال ابن عطية: «وهذا هو الأصح والله أعلم؛ لأن الآيات تقتضي ذلك»[(٥)]. وقال بمثل قوله آخرون[(٦)]. واستُدلَّ لهذا القول بأن موضوعات السورة تقتضي ذلك؛ إذ يغلب على بعضها موضوعات السور المكية، كتقرير التوحيد، وتبشيع الشرك، والإنذار والتخويف من عقاب الله ﷻ، وما كان في القرون الغابرة من إهلاك المكذبين منهم، وإثبات البعث، ونحو ذلك، كما أن في بعض موضوعاتها، ما هو مثل موضوعات السور المدنية، كالإذن بالقتال،

---

(١) **ينظر:** التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي، (٢/ ٣٢)؛ وتفسير أبي السعود، (٦/ ٩١)؛ التفسير المنير للزحيلي، (١٧/ ١٤٩)، دون أن يستثنيَ شيئا من آياتها.

(٢) التحرير والتنوير، (١٧/ ١٨٠).

(٣) **ينظر:** المحرر الوجيز، (٤/ ١٠٥)؛ والبحر المحيط، (٧/ ٤٨٠)؛ وروح المعاني، (٩/ ١٠٥)؛ وفتح القدير للشوكاني، (٣/ ٥١٣).

(٤) روح المعاني، (٩/ ١٠٥)؛ و**ينظر:** التحرير والتنوير، (١٧/ ١٨٢).

(٥) المحرر الوجيز، (٤/ ١٠٥).

(٦) **ينظر:** الجامع لأحكام القرآن، (١٢/ ١)؛ وروح المعاني، (٩/ ١٠٥)؛ وفتح القدير للشوكاني، (٣/ ٥١٣).

والأمر بالجهاد في سبيل الله، والوعد من الله سبحانه بنصر الذين وقع عليهم الظلم من المؤمنين المستضعفين وأنه على نصرهم لقدير[1].

ولقد أجاد ابن عاشور وأفاد، حيث ذكر في هذا ما مفاده: أن أول هذه السورة يشبه أن يكون نزوله بمكة؛ لأن افتتاحها بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ جار على سنن فواتح السور المكية، كما أن في أساليب نظم كثير من آياتها ما يلائم أسلوب السور المكية، وإن كان لا يتعين من افتتاحها أن تكون مكية؛ إذ يجوز أن يوجه الخطاب به إلى المشركين في المدينة في أول مدة حلول النبي ﷺ بها، فإن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الحج: ٢٥]، يناسب أنه نزل بالمدينة حيث صد المشركون النبيَّ والمؤمنين عن البقاء معهم بمكة، وكذلك قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠]، فإنه صريح في أنه نزل في شأن الهجرة، ثم قال: «ولذلك فأنا أحسب هذه

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٢/ ١)؛ والبرهان في علوم القرآن، (١/ ١٨٨)؛ وروح المعاني، (٩/ ١٠٥)؛ وفتح القدير للشوكاني، (٣/ ٥١٣)؛ والتفسير المنير للزحيلي، (١٧/ ١٤٩)؛ والمحرر في علوم القرآن المحرر في علوم القرآن، لمساعد بن سليمان الطيار، (ص: ١١٢-١١٣). وذكر أنه اجتهد العلماءُ في عدد من الضوابط التي يتميز بها المكي عن المدني، منها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ للمكي، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ للمدني، قال: «وهذا الضابط أغلبي، وليس كليًا؛ لأنه ورد في القرآن المدني الخطاب بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، فقد أجمع العلماء على أن سورة النساء مدنية، وأولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]، فانخرم بهذا أن يكون الخطاب بهذين الوصفين ضابطًا مُطَّرداً في معرفة المكي والمدني».

السورة نازلا بعضها آخر مدة مقام النبي ﷺ بمكة، كما يقتضيه افتتاحها بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فقد تقرر أن ذلك الغالب في أساليب القرآن المكي، وأن بقيتها نزلت في مدة مقام النبي ﷺ بالمدينة»[(١)].

ومما ورد في أحوال نزولها، ما روى الترمذي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: «لَمَّا أُخْرِجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ لَيَهْلِكُنَّ»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] الآيَةَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ»[(٢)]، قال ابن عاشور: «وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الحج: ٥٨]، ففيه ذكر الهجرة وذكر من يقتل من المهاجرين وذلك مؤذن بجهاد متوقع»[(٣)].

ما ورد في فضل سورة الحج

(سورة الحج) يشملها من الفضل ما جاء في فضل القرآن الكريم، وهو فضلٌ معلومٌ متوافرٌ متضافرٌ من القرآن والسنة.

ومما ورد لها من الفضل بخصوصها، ما جاء في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، أُفُضِّلَتْ سُورَةُ الْحَجِّ عَلَى سَائِرِ الْقُرْآنِ بِسَجْدَتَيْنِ؟ قَالَ:

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ١٨٠-١٨٢).
(٢) جامع الترمذي، برقم: (٣١٧١).
(٣) التحرير والتنوير، (١٧/ ١٨١).

«نَعَمْ، فَمَنْ لَمْ يَسْجُدْهُمَا، فَلَا يَقْرَأْهُمَا»[(١)].

وقد استُدل بهذا الحديث وما في معناه على فضلها[(٢)].

ثانيا: سياق آيات الحج في سورة الحج

نص الآيات (٢٥-٣٧):

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى

---

(١) رواه أحمد في المسند، قال: حدثنا أبو سعيد، مولى بني هاشم، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا مشرح بن هاعان أبو مصعب المعافري، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، بهذا اللفظ، رقم: (١٧٣٦٤)؛ وأبو داود في سننه، عن ابن لهيعة به، في: كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن؟ برقم (١٤٠٢)، وفيه: أن عقبة بن عامر رضي الله عنه، سأل رسول الله ﷺ: «أفي سورة الحج سجدتان؟»؛ والترمذي في جامعه، عن ابن لهيعة به، بنحوه، باب في السجدة في الحج، رقم: (٥٧٨)، وقال: «هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي، واختلف أهل العلم في هذا».

والحديث كما ذكر محققو المسند (٢٨/ ٥٩٣-٥٩٤): «حسن بطرقه وشواهده دون قوله: (فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما)»؛ لأنه يفيد وجوب السجود عند تلاوة السجدة، وهذا يخالفه حديث زيد بن ثابت رضي الله عنهما: أنه قرأ على النبي ﷺ (والنجم) فلم يسجد فيها، كما عند البخاري، في أبوب سجود القرآن، باب من قرأ السجدة ولم يسجد (١٠٧٢-١٠٧٣)، ومسلم، في: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة برقم: (٥٧٧). انتهى. قال النووي في: (المجموع شرح المهذب، ٤/ ٦٢): «وأجمعوا على السجدة الأولى في الحج واختلفوا في الثانية»، وذكر ممن أثبتها جماعةً من الصحابة رضي الله عنهم؛ وينظر: فتح القدير للشوكاني، (٣/ ٥١٣)، قال: «وقد رُوِي عن كثير من الصحابة أن فيها سجدتين»؛ وروح المعاني (٩/ ١٠٥).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١)؛ ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٢/ ٢٩٦-٢٧٠)؛ وفتح القدير للشوكاني (٣/ ٥١٣)؛ وروح المعاني (٩/ ١٠٥).

جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ [الحج: ٢٥-٣٧]

يدور معنى كلمة (السياق) في اللغة على معنى التتابع، ومن هنا سميت

السُّوق سُوقا من سَوْق الناس إليها بضائعَهم[(١)]، أي: بتتابع.

كما أن الإطلاقات لتصاريف مادة: (سوق) في اللغة، تدل على أن سياق الكلام: «تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه»[(٢)].

وأما استعمالاته في الاصطلاح فمتنوعة، فتناولته كلُّ طائفة من أهل المعرفة على حسب فهومها، واتجاهاتها[(٣)]، بما في ذلك علماء الشريعة، وعلماء اللغة[(٤)].

وهذا يعني أن علماء الشريعة، ومنهم المفسرون يستعملون السياق، وإن تنوعت عبارات أهل كل فنٍّ منهم في التعبير عن استعمالهم له، بما لا يخرج عن أنه كالقرائن في الدلالة على مراد المتكلم من كلامه، وفي بيان الـمُجملَاتِ، وتعيين الـمُحتملَاتِ[(٥)].

والذي يُقرَّر هنا تقريرا مؤكَّدا، أن استعمال المفسرين لمصطلح

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة، لابن دريد، (٢/ ٨٥٣)؛ ومقاييس اللغة (٣/ ١١٧)؛ والمفردات، للراغب الأصفهاني (ص: ٤٣٦)؛ ولسان العرب، (١٠/ ١٦٦، وما بعدها)، مادة: (سوق).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٤٦٥)، مادة: (سوق).

(٣) ينظر: دلالة السياق، لردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، (ص: ٥٧- ١٦٢، ١٦٣ - ٢٤٣).

(٤) ينظر: نفسه، (ص: ٦١- ١٦٢).

(٥) ينظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، (٢/ ٢١)؛ وقواعد التفسير، لخالد بن عثمان السبت، (٢/ ٦٥٣).

(السياق)، شائع لديهم معروف، كواحد من المطالب لصناعة فنِّ التفسير[(١)].

قال الطبري: «فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حُجَّة. فأما الدَّعاوى فلا تتعذر على أحد»[(٢)].

ومن هنا فدلالة السياق من القواعد المعتمدة المقررة لدى المفسرين، في مثل: الاختيار، أو الترجيح[(٣)].

وإذ الأمر كذلك، فإن مفهوم (السياق القرآني)، يقوم على أمرين، أولهما: (السياق اللغوي)، وهو الذي يسمى بـ(السياق الداخلي)، ويراد به متى أُطلِق

(١) وفي هذا رسائل مستقلة مطبوعة منها: (دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير من خلال تفسير ابن جرير)، لعبد الحكيم بن عبد الله القاسم، و(السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة)، لسعد بن محمد بن سعد الشهراني؛ وينظر: قواعد التفسير، لخالد بن عثمان السبت، (٢/ ٦٥٣)؛ وقواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، لعبير بنت عبد الله النعيم، (ص: ٦٨١، وما بعدها)؛ وشرح مقدمة تفسير الطبري، لمساعد الطيار، (ص: ٣٩-٤١).

(٢) جامع البيان، (٩/ ٣٨٩)؛ وينظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٣١١، ٣١٧)؛ والإتقان في علوم القرآن، (٤/ ٢٢٧)؛ وتفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، (١/ ٢٠)؛ وقواعد التفسير، لخالد بن عثمان السبت، (٢/ ٦٥٣).

(٣) ينظر: جامع البيان، (٩/ ٣٨٩)؛ وقواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، لعبير بنت عبد الله النعيم، (ص: ٨٠٢)؛ وشرح مقدمة تفسير الطبري، لمساعد الطيار، (ص: ٣٩-٤١)؛ وطرق توظيف علوم القرآن الكريم في دراسة التفسير، لطه عابدين طه حمد، (ص: ٣٦).

السباق[١] واللحاق[٢]، أي: سابق الكلام ولاحقه. وثانيهما: (السياق الخارجي)[٣]، وهو: «ما يحيط بالنص من عوامل خارجية، لها أثر في فهمه، من حال المخاطِب، والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه»[٤].

وبناء على ذلك، فإن (السياق القرآني) هو: «ما يحيط بالنص من عوامل داخلية، أو خارجية، لها أثر في فهمه، من سابق أو لاحق به، أو حال المخاطِب، والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه»[٥].

ومن ههنا، نخلُصُ إلى أنه يكون لمجموعة من الآيات التي تدور حول وحدة موضوعية واحدة، في سورة واحدة؛ دلالات سياقية، هي غير الدلالات السياقية للآية الواحدة، أو لسورة بأكمها، وغير السياق القرآني العام لجميع

---

(١) جاء في معجم مقاييس اللغة، مادة: (سبق): «(سبق) السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقديم. يقال سبق يسبق سبقا. فأما السبق فهو الخطر الذي يأخذه السابق». وينظر: القاموس المحيط، مادة: (سبق)، وفيه: «سبقه يسبقه: تقدمه».

(٢) جاء في معجم مقاييس اللغة، مادة (لحق): «(لحق) اللام والحاء والقاف أصل يدل على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره. يقال: لحق فلان فلانا فهو لاحق. وألحق بمعناه. وفي الدعاء: «إن عذابك بالكفار ملحق»، قالوا: معناه لاحق. وربما قالوا: لحقته: اتبعته، وألحقته: وصلت إليه. والملحق: الدعي الملصق»؛ وينظر: القاموس المحيط، مادة: (لحق).

(٣) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، لسعد بن محمد بن سعد الشهراني، (ص: ٢٤- ٢٥).

(٤) نفسه، (ص: ٢٧).

(٥) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، لسعد بن محمد بن سعد الشهراني، (ص: ٢٩).

السور[(١)]؛ لأن «المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحُجُرات في البينان! لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما... ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًّا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية»[(٢)].

وكذلك الشأن في الهدايات القرآنية، فإن لمجموعة من الآيات هداياتها التي يستدعيها سياقها في نفسها، وفي السورة، وكذلك في الآية الواحدة هداياتها، بل قد تؤخذ منها عشرات الهدايات، وقد تجيء هداية أو أكثر في كلمة قرآنية واحدة، ولو حرفا[(٣)].

وكذلك الشأن ههنا؛ فإن لهذه الآياتِ (٢٥-٣٧) التي سبق إيراد نصِّها من سورة الحج؛ هداياتِها التي يستدعيها سياقها في نفسها، وفي كونها جاءت في نسقٍ في سورة الحج، إذ يتضح عند تدبرها وتأملها، أنه ينتظمها سياقٌ تندرج تحته معانيها وهداياتها في مواءمة واتساق وانسجام، كما عسى أنْ يُستجْلى في

(١) ينظر: السياق القرآني وأثره في التفسير، لعبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، (ص: ١٠٥).

(٢) النبأ العظيم، لمحمد بن عبد الله دراز، (ص: ١٨٨)؛ وينظر: السياق القرآني وأثره في التفسير، لعبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، (ص: ١٠٧).

(٣) ينظر: الهدايات القرآنية -دراسة تأصيلية (١/ ٤٧).

الجمل الآتية:

١- تشتمل كلُّ سورة على المقاصد الكلية، والأغراض العامة لنزول القرآن الكريم، وما وراء ذلك من الحِكَم والتشريعات، والهداية للتي هي أقوم في جميع الأمور الدينية والدنيوية[(١)]، كما يدل على هذا قوله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾، أي: «أن هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهدا برب العالمين جل وعلا، ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾؛ أي: الطريقة التي هي أسد وأعدل وأصوب... وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن؛ من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال، لأتينا على جميع القرآن العظيم؛ لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة»[(٢)].

ومع هذا، فإنه استقر عند العلماء أن لكل سورة مقاصدَها وأغراضَها، أي: المعنى الجامع لآياتها وموضوعاتها، أو الغايات التي ترمي إليها آياتها وموضوعاتها[(٣)].

ومن ههنا، فإن المعنى الجامع لمقاصد وأغراض سورة الحج، هو «الحث

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٩/ ١١٥)؛ والمقاصد الكبرى للقرآن الكريم، لطه عابدين، (نسخة إلكترونية)، (ص: ٧٠-٨٠).

(٢) أضواء البيان (٣/ ١٧).

(٣) ينظر: المقاصد الكبرى للقرآن الكريم، لطه عابدين، (ص: ٨١).

على التقوى»[(١)]. وفي السورة – وهي سورة الحج تسميةً لها بأحد أركان الإسلام – تركيزٌ على أهم وأبرز المعالم التي تُثمر وتجلب التقوى، وذلك هو الحج إلى بيت الله الحرام، وشهود ما هنالك من المنافع الجليلة الدينية والدنيوية[(٢)].

٢- إن سياق هذه الآيات من سورة الحج في فَلَك «الغايات الكلية التي عليها مدار التنزيل»[(٣)]، فجاء مقرِّرا مؤكِّدا للسياق العام للقرآن الكريم، أي: «الأغراض والمقاصد الأساسية للقرآن الكريم، ومعانيه الكلية وأساليبه المطردة»[(٤)].

٣- إن سياق هذه الآيات من سورة الحج، هو ضمن المعنى الجامع لمقصودها العام، وهو: «الحث على التقوى»[(٥)].

فيلاحَظُ أنه مع تعدد مقاصد وأغراض السورة، إلا أن الخيط الذي يجمعها جميعها هو الحث على تقوى الله ﷻ، والندب إلى ذلك ندبا مؤكَّدا.

٤- جاء سياق هذه الآيات من سورة الحج في اتساق وتناسب لِما قبلها، فبعد أنْ فصل الله فيما تقدَّم من سياق الآيات بين الفريقين: الكفار والمؤمنين؛ أعقب ذلك بذكر عِظَمِ حُرمَةِ البيت مع عِظَمِ كفرِ هؤلاء بما جاء به محمدٌ ﷺ،

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي (٢/ ٢٩٤).
(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ١٨٣-١٨٥)؛ وينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٧/ ١٤٩).
(٣) المقاصد الكبرى للقرآن الكريم، لطه عابدين حمد، (ص: ٣٦-٣٧)؛ وينظر: السياق القرآني وأثره في التفسير، لعبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، (ص: ١١٧-١٢٥).
(٤) السياق القرآني وأثره في التفسير، لعبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، (ص: ١١٧)، وللتفصيل في هذا، وينظر: نفسه، (ص: ١١٧-١٢٥).
(٥) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي (٢/ ٢٩٤).

الذين من شأنهم الصَّدُّ عن سبيل الله والمسجد الحرام، وذلك بإبائهم ومنعهم من الهجرة والجهاد في سبيل الله[1]، مع بيان ما يدل على استمرار كفرهم، وبيان جزائهم بالوعيد والتهديد، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥][2]. وما جاء من الوعيد ههنا للمتصفين بهذه الأوصاف؛ مُقابَلٌ لوعده ﷻ المؤمنين في قوله ﷻ قبلُ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [آية: ٢٤]، أي: «كما كان سبب استحقاق المؤمنين ذلك النعيم اتباعهم صراط الله، كذلك كان سبب استحقاق المشركين ذلك العذاب كفرهم وصدهم عن سبيل الله. وفيه مع هذه المناسبة لما قبله تخلص بديع إلى ما بعده؛ من بيان حق المسلمين في المسجد الحرام، وتهويل أمر الإلحاد فيه، والتنويه به، وتنزيهه عن أن يكون مأوى للشرك ورجس الظلم والعدوان»[3].

٥- في مستهل سياق هذه الآيات من سورة الحج يجيء التنديد بمن يريد إلحادا، فكيف بمن يفعله في المسجد الحرام؟! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[الحج: ٢٥]، وكأنما استدعى هذا سياقُ هذه الآيات استدعاءً، حيث إن الإلحاد مِن أخطر ما يعوقُ عن الهداية إلى الصراط

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢١٦)؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٣).
(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٣).
(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٣٥-٢٣٦).

المستقيم[(١)]، وعن مقتضيات التقوى التي هي المقصد العام لسورة الحج، كما سبق قريبا، وعن شهود منافع الحج الدنيوية والدينية التي هي من أجلِّ مظاهر خصوصياته، إذ جعلها الله تعليلا للأذان به في قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾ [سورة الحج:٢٧-٢٨] فمن منافعه الدينية، «تَلَقِّي عقيدة توحيد الله بطريق المشاهدة [للمسجد الحرام][(٢)] الذي أقيم لذلك حتى يرسخ معنى التوحيد في النفوس؛ لأن للنفوس ميلا إلى المحسوسات؛ ليتقوى الإدراك العقلي بمشاهدة المحسوس. فهذه أصل في سنة المؤثرات لأهل المقصد النافع»[(٣)].

٦- يجيءُ بعد ذلك حديثٌ عن المقصد الأصل الذي أقام عليه إبراهيم عليه السلام البيت الحرام، وهو تحقيق العبودية وإحقاق التوحيد الخالص، والبراءة من الشرك بجميع أسبابه وذرائعه، حيث خاطبه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾، يجيء هذا في اتساق وتناسق لما قبله،

---

(١) كما في هذه الآية من سورة الحج، وهي ثالثة آيات ورد فيها ذكر الإلحاد في القرآن، والأخريان، قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠]. وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت: ٤٠].

(٢) آثرتُ استبدال عبارة [للمسجد] بين المعكوفين بقول المؤلف "للهيكل"؛ مراعاةً لما هو أبعد لورود أي احتمال للإشكال.

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٢).

حيث إن في هذه الآية تعليلا لجملة ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ المعطوفة عليها؛ «بأن الملحد في المسجد الحرام قد خالف بإلحاده فيه ما أراده الله من تطهيره حين أمر ببنائه، والتخلص من ذلك إلى إثبات ظلم المشركين، وكفرانهم نعمة الله في إقامة المسجد الحرام وتشريع الحج»[(١)].

٧- وفي ذلك من توبيخ أولئك المشركين على فعلهم، ما لا يخفى، فإن أباهم إبراهيم عليه السلام هو الذي بوّأ الله له مكان البيت، وأمره بتطهيره للطائفين والقائمين، وجاءت التبوءةُ في الآية مفسّرَةً ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، مما فيه لفتٌ إلى أعظم الهدايات وأكبر المقاصد، فمن أبرزها: أن يكون البيت الحرام منذ ذلك الحين رمزا لتوحيد الله سبحانه وتعالى، فيكون منه المنطلَقُ بالإعلان بالتوحيد الخاص الحق، وإعلام الناس بهذا كافة، فيعبدون رب هذا البيت لا يشركون به شيئا، بما يدخل في الأمر بتطهيره دخولا أوليا، إذ إن الشأن في تطهير البيت عام يشمل تطهيره بأن يُوحَّد اللهُ فيه وحده لا شريك له، وتطهيره من اتخاذ الشركاء والأنداد، والأوثان والأصنام، ومن جميع أمور الكفر والبدع والمعاصي وجميع الأنجاس والأقذار والدماء وغير ذلك[(٢)]، بما يشمل التطهير المعنوي والحسي؛ ولهذا

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٠)

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، (٤/ ١١٧)؛ ومفاتيح الغيب، (٢٣/ ٢١٩)؛ وتفسير البيضاوي (٤/ ٦٩)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٤١)؛ وأضواء البيان (٤/ ٢٩٦).

قال ﷻ مقرِّرا هذا المعنى: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا﴾[1].

٨- ثم لم يزل الخطاب لإبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾، كما هو قول الجمهور في قصة نزول هذه الآية[2]، بما فيه نداءُ الناس ودعوتُهم إلى قصد البيت الحرام؛ لأداء مناسك الحج بإعلان وإعلام من إبراهيم عليه السلام بأمر ربه ﷻ، فيبلغه الله ﷻ من يشاء من عباده في أصلاب آبائهم، فيأتون من آفاق أقطار الأرض -بإذن الله ﷻ- مُستجيبين امتثالا وطاعة لأمر ربهم في إخبات وخشوع[3]، مُهِلِّين بتلبية هي كلِمَةُ التوحيد الخالص: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك[4].

«وقد فعل الخليل عليه السلام ما أُمِر به، ثم من بعده ابنه محمد ﷺ، فدعيا الناس إلى حج هذا البيت، وأبديا في ذلك وأعادا، وقد حصل ما وعد الله به، فأتاه الناس رجالا وركبانا من مشارق الأرض ومغاربها»[5].

---

(١) ينظر: أضواء البيان (٤/ ٢٩٦)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٤١).

(٢) ينظر: النكت والعيون (٤/ ١٨)؛ والتفسير البسيط (١٥/ ٣٥٨)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢١٩)؛ وروح المعاني (٩/ ١٣٧)؛ وأضواء البيان (٤/ ٢٩٨).

(٣) ينظر: التفسير البسيط (١٥/ ٣٥٧)؛ وتفسير ابن كثير، (٥/ ٤١٤)؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٧)؛ وتفسير السعدي، (ص: ٥٣٧).

(٤) كذا في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الطويل، كما عند الإمام مسلم في صحيحه، في: كتاب الحج (١٢١٨)، وفيه: فأَهَلَّ [أي رسول الله ﷺ] بِالتَّوْحِيدِ «لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ».

(٥) تفسير السعدي (ص: ٥٣٧).

٩- ويستطرد السياق إلى بيان حكمة ذلك في قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾[(١)]، بما يؤكد شدةَ الارتباطِ الوثيق بين الآيتين؛ إذ إن هذه الآية تعليلٌ لسابقتها، متعلِّقةٌ بها، لكون اللام في ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾ الآية، للتعليل، وهي متعلِّقةٌ هي وما دخلت عليه بالآية السابقة: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾، أي: إن تؤذن فيهم يأتوك مشاة وركبانا؛ لأجل أن يحضروا منافع لهم. والمراد حصول هذه المنافع لهم، والصحيح أنها منافع دنيوية، وأخرى دينية أخروية[(٢)]. «وأعظم ذلك اجتماع أهلِ التوحيد في صعيد واحد؛ ليتلقى بعضهم عن بعض ما به كمالُ إيمانِه»[(٣)].

١٠- وتتضمن الآيةُ نفسُها: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾؛ شروعا في بيان ما يتعلق بالإحلال بعد طول الإحرام بالحج، ومن أبرز مظاهر هذا: أعمال يوم النحر، ومنها: الهدايا والضحايا وما يُشرع في توزيعها. «وكنى [الله ﷻ] عن النحر والذبح بذكر اسم الله؛ لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا. وفيه: تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرّب به إلى الله أن يذكر اسمه»[(٤)].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٠)؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٨).
(٢) ينظر: أضواء البيان، (٥/ ١١٠-١١١)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٦).
(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٦).
(٤) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٣)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢١).

١١- كما يستفادُ من الأمر – وهو لإباحة أو لاستحباب-بالأكل من بهيمة الأنعام في هذه الأيام؛ التعريضُ بعادة أهل الجاهلية، إذ كانوا لا يأكلون من نسائكهم[(١)]. هذا مع الندب المؤكَّد في إطعام المحاويج من هذه النسائك؛ لِما لهم فيها من أحقية متأكَّدة، على أن المراد من اقتران وصفي ﴿ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾؛ لقصد استيعاب أحوال المحتاجين، والتنبيه إلى البحث عن الذي هو محتاجٌ في واقع الأمر[(٢)].

١٢- ولم يزل السياقُ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾، متصلا بما مرَّ الآن في بيان أعمال يوم النحر، مع بيان ما يصاحب ذلك من قضاء التفث وطواف الحج، وهو الإفاضة، أحد أركان الحج[(٣)]؛ ولكن عاد الأسلوب في هذه الآية ههنا إلى الغيبة على سبيل الالتفات والتفنن في بلاغة نظم القرآن الكريم[(٤)].

١٣- وفي التعبير بـ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾، لقضاء (التفث)؛ وصفٌ لطبيعة الحالة التي يكون عليها الحجاج، في أنهم يأتون الحجَّ شُعثا غُبرا، كما في

(١) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٣)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٧)، وذكر ما حاصله: أن في الالتفات من ضمائر الغيبة إلى ضمير الخطاب في: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾؛ تعريضا بالرد على أهل الجاهلية إذ كانوا يمنعون الأكل من الهدايا.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٧).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٢/ ٤٩).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٧).

الحديث أن الحجاج يأتوني شعثا غبرا، فيباهي الله بهم ملائكته يوم عرفة[1]. وفي هذا، أن شغلهم الشاغل وهمهم الأكبر في الإحرام بالحج وتأدية مناسكه، والإقبال منهم إلى ذلك بكلياتهم؛ في تلبية ودعاء وخشوع وإخبات لله ﷻ، فكان جزاؤهم أن الله ﷻ يباهي بهم ملائكته يوم عرفة.

١٤- وفي السياق نفسه تجيء الآيتان الكريمتان: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾؛ لأن الحرمات المقصودةَ ها هنا المرغَّبَ في تعظيمها تحريضا، وتحريصا، هي نفس أعمال الحج المشار إليها في قوله تعالى الآنف: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾، ويدخل في ذلك تعظيم المواضع لهذه الحرمات، ثم إن لفظ الآية بعد ذلك يتناول كل

---

(١) روى أحمد في المسند، برقم: (٧٠٨٩)، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا»؛ والطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٤٥٢٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٥١-٢٥٢)، وقال: «رواه أحمد والطبراني في "الصغير" و "الكبير"، ورجال أحمد موثقون». وله شاهد عند ابن حبان، في صحيحه، (٩/ ١٦٤)، برقم: (٣٨٥٣)، من حديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه، مرفوعا وفيه قوله ﷺ: «وَمَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الْأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عبادي شعثا غبرا ضاحين جاؤوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي، فَلَمْ يُرَ يَوْمٌ أَكْثَرُ عِتْقًا من النار من يوم عرفة».

حرمة الله تعالى في جميع الشرع[(١)].

١٥- وفي جملة: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾؛ عودٌ إلى بعض ما يُشرع في الحج[(٢)]؛ كما أن فيها أنه سبحانه لما حث على تعظيم حرماته وحمد من يعظمها؛ أتبعه بالأمر باجتناب الأوثان وقول الزور، فقرن بينهما؛ لأنهما في سلك واحد، بل إن اتباع الأوثان، هو من أفراد الزور[(٣)].

١٦- وفي السياق جملة ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾؛ للتأكيد على لزوم جادّةِ الإخلاص، وأن لا يُسلَكَ غير مسالكِه في الحج وفي غيره[(٤)].

١٧- ويجيء هذا التشبيه الفظيع: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾؛ الذي يتضمن تشبيه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكارَه بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوّح به في وادي الضلالة، بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلِفة[(٥)].

---

(١) المحرر الوجيز (٤/ ١٢٠)، بتصرف يسير.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، (٢٣/ ٢٢٢).

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٢-٤٣).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٣)؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٣)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٤).

(٥) الكشاف (٣/ ١٥٥) باختصار؛ وينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٣)؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٣)؛ والتحرير والتنوير، (١٧/ ٢٥٤)

١٨- وفي السياق نفسه تجيء الآيتان الكريمتان: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج: ٣٢- ٣٣]؛ في اتساق ومناسبة وتأكيد، لقوله تعالى الآنف: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[(١)]، غير أن «مضمون جملة ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ إلخ، أخص من مضمون جملة ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٠] وذكر الأخص بعد الأعم للاهتمام»[(٢)]، وذلك أن المراد بـ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ ههنا الهديُ خصوصا، فتعظيمها من معالم الحج، أي: باختيارها عظامَ الأجرام حسانا سمانا، غاليةَ الأثمان دون مِكاس[(٣)] في شرائها، وعلى أن المراد بـ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ عمومها، ففيها: أن تعظيمها عام في جميع شعائر الله، ويدخل في هذا العموم قطعا أفراده، مثل: البدن، والصفا والمروة، وجميع معالم ومشاعر الحج[(٤)].

١٩- كذلك، وتجيء الآيتان الكريمتان أيضا في ذات السياق: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤- ٣٥]؛

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٣)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٦).

(٣) في القاموس المحيط، مادة: (عكس): «عِكاسٌ ومِكَاسٌ، بكسرهِمَا: وهو أن تأْخُذَ بناصِيَتِهِ ويأْخُذَ بِنَاصِيَتَكَ، أو هو إتْباعٌ». قلتُ: وهو هنا المشاحة في البيع.

(٤) ينظر: أضواء البيان، (٥/ ٢٥٧-٢٥٨)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٦)؛ وتفسير السعدي، (ص: ٥٣٨).

حيث إنه لمَّا ذكر الله ﷻ ما جعل لهذه الأمة من مناسك، ومنها الهدايا، وأن تعظيمها من تعظيمه ﷻ؛ عطف على هذا قوله ههنا: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ الخ، أي: كما جعل الله لكم ذلك، جعله لكل أمة من الأمم السالفة على وجه التقرّب إليه ﷻ[1]، مع الرد على المشركين والتعريض بهم؛ إذ جعلوا لأصنامهم مناسك تشابه مناسك الحج، وجعلوا لها مواقيت ومذابح، فذكَّرهم الله تعالى بأنه ما جعل لكل أمة إلا منسكا واحدا؛ للقربان إلى الله تعالى[2].

٢٠- ويمضي سياق هذه الآيات من سورة الحج، فتجيء في آخره الآيتان الكريمتان: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: ٣٦- ٣٧]؛ في اتصال وارتباط لما قبلها، وذلك أنه «لمَّا قدم سبحانه الحث على التقرب بالأنعام كلها، وكانت الإبل أعظمها خلقًا، وأجلها في أنفسهم أمرًا؛ خصها بالذكر في سياق تكون فيه مذكورة مرتين معبراً بالاسم الدال على عظمها، أو أنه خصها لأنه خص العرب بها دون الأمم

(١) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٧)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٥)؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٩)، باختصار.

الماضية...»[(١)]. كما أن في جملة: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾، تأكيدًا على أهمية تصحيح النية، وصدق الإخلاص فيما يُتقرب به من الهدايا والضحايا، فإن الله ﷻ لا يُرضيه من ذلك إلا ما كان مُرادا به ثوابه ﷻ، خالصا لوجهه الكريم، مُحتفّا بشروط التقوى في حِلِّ ما يُتَقرَّبُ به، وغير ذلك من المرعيات الشرعية وأوامر الورع، فإذا لم يراع الناسُ ذلك، لم تغن عنهم هداياهم وأضحياتهم شيئا، وإن كثرت[(٢)]؛ ولأجل هذا المعنى: «جاءت جملة ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾، في موضع التعليل للجملة قبلها: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ قبلها [الحج: ٣٦]، أي: دل على أنا سخرناها لكم لتشكروني، أنه لا انتفاع لله بشيء من لحومها ولا دمائها، حين تتمكنون من الانتفاع بها فلا يريد الله منكم على ذلك إلا أن تتقوه»[(٣)]، وبما فيه تعريضٌ بفعل أهل الجاهلية، وإبطاله، حيث كانوا إذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت، ولطخوه بالدم[(٤)].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٩).

(٢) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٨)؛ وأحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٩٨)، قال: «قوله: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ﴾ [الحج: ٣٧] من الألفاظ المشكلة؛ فإن النيل لا يتعلق بالبارئ سبحانه، ولكن عبر به تعبيرا مجازيا عن القبول»؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٧).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٧).

(٤) الكشاف (٣/ ١٥٨)؛ وينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٧)؛ وتفسير أبي السعود (٦/ ١٠٧)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٧)، قال: «والمقصود من نفي أن يصل إلى الله لحومها ودماؤها إبطال ما يفعله المشركون من نضح الدماء في المذابح وحول الكعبة وكانوا يذبحون بالمروة».

٢١- ثم إنه يُرَى سياق هذه الآيات من سورة الحج في اتساق وتناسب للسياق بعدها أيضا، كما بيَّن هذا البقاعيُّ رحمه الله تعالى، بأنه لمَّا ذكَرَ الله ﷻ الحجَّ المُذكِّرَ للمهاجرين عن أوطانهم المخاصَمةَ التي كانت في غزوة بدر، وذكَرَ ما يُفعَل في الحج من القربات؛ عظُم اشتياقهم- أي: المهاجرين - إلى ذلك، وتذكروا علوَّ وظهور المشركين في صدهم إياهم عن سبيل الله والمسجد الحرام، وعن مباشرة ما يُباشَرُ فيه من الأعمال والقربات الجليلة الخالصة لله ﷻ، والأحوال الصالحة، وما أرادوا لهم من الفتنة في ذلك؛ فأجابهم الله سبحانه عن هذا بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، بما فيه تسليةٌ وبشارة لهم - وهم المؤمنون الذين نوَّه الله بهم في مثل قوله الآنف: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧] - بأنه ﷻ مدافعٌ عنهم، فمظهرُهم على عدوهم ذوي الأوصاف الشنيعة، كما في جملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، حيث خانوا عهد الله وأمانته في صدهم عن المسجد الحرام الذي جعله الله للناس ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾، مع مبالغتهم في كفران نعم الله عليهم بالتقرب إلى غيره، وبعدم الإخلاص له ﷻ فيما يأتون. ولمَّا كان هذا يستدعي تساؤلا من أولئك المهاجرين المؤمنين عن كيفية مدافعة الله عنهم، وبمن تكون المدافعة؛ بين الله هذا بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ الآية [الحج: ٣٩-٤٠]، بما فيه إيذانٌ بسهولة ما سألوا عنه على الله ﷻ، فأَذِن لهم في الجهاد لمدافعة ما وقع عليهم من الظلم، بإخراجهم من ديارهم،

وما نالهم من الأذى بغير حق ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، وقد كانوا قبل ذلك يؤمرون بالصفح والعفو والصبر[1].

الخلاصة: أنه بهذا يتبين وجه اتساق وتناسب هذه الآياتِ من سورة الحج (٢٥-٣٧)؛ في سياق ينتظمها جميعها في المقاصد والدلالات، هي غير المقاصد والدلالات السياقية لسورة الحج بأكملها، وغير السياق القرآني العام لجميع السور، وكذلك الشأن في الهدايات والفوائد المستخرجَة من هذه الآيات -كما يُرى في المبحث التالي-، فإنها هدايات وفوائد يستدعيها سياقها في نفسها، وفي موقعها من سورة الحج، فجاءت وينتظمها جميعها سياقٌ متناغم منسجم في وحدة موضوعية في اتساقها واطرادها، بما هو ضربٌ من ضروب إعجاز القرآن الكريم!!

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٥٤ -٥٦) باختصار.

المبحث الثاني

الهدايات والفوائد من آيات الحج في سورة الحج

تـوطئـةٌ

يُعتبر هذا المبحث الثاني: (الهدايات والفوائدُ من آيات الحج في سورة الحج)؛ هو عمقُ هذا الموضوعِ ولبُّه؛ إذ يمثل الجانب التطبيقي في استخراج الهدايات والفوائد في هذه الآيات من سورة الحج آيةً آيةً من آية (٢٥- ٣٧)[(١)]؛ ولأهمية هذا، يحسُن كتابة توطئةٍ ههنا، للوقوف على أهم المعالم والضوابط التي يتعيَّن أن تُراعَى في الكتابة فيه، بما حاصله: أنه يُعتمَدُ في استخراج الهدايات في هذه الآيات على ما مثله يُراعَى في صحة وسلامة التفسير، فمما هو معلومٌ متقرِّرٌ أن مجال (الهدايات القرآنية)، إنما خرج من رحم التفسير، أو ما هو ناظرٌ إليه كالتدبر والاستنباط[(٢)].

وإن مما يستدعيه السياق وتقتضيه المناسبة؛ إدماجَ إلمامةٍ ههنا عن أحسن طرق التفسير، وهي: أن يفسَّر القرآن بالقرآن[(٣)]، فبالسنة النبوية فإنها له شارحةٌ

(١) سبق فيما تقدم مُستهلَّ الحديث عن (سياق آيات الحج من سورة الحج)، ذكرُ نصِّ هذه الآياتِ كاملة.

(٢) ينظر: الهدايات القرآنية – دراسة تأصيلية، (١/ ٥٣-٥٤، ٥٧-٥٨).

(٣) إطلاق تفسير القرآن بالقرآن مجملٌ، وفيه من الإيهام والخلط، ما نبَّه عليه الدكتور/ مساعد ابن سليمان الطيار في: (مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ص: ٣٥-٣٦)، في أنه مما لا يُختلفُ فيه أن تفسير القرآن بالقرآن في مقدمة مصادرِ التَّفسيرِ، وهو أَوْلى ما يُرجَع في التفسير؛ ولكن «لا يُقبلُ التَّفسيرُ به لمجرَّدِ كونِه تفسيرَ قرآنٍ بقرآنٍ، بل لاعتبارٍ آخر؛ كأن يكونَ من تفسيرِ النَّبيِّ ﷺ، أو مما لا يمكنُ الاختلافُ في كونه مفسَّراً بقرآنٍ، أو مما يكونُ مجمعاً عليه، أو بالنَّظرِ إلى عُلُوِّ مرتبةِ مفسِّره، أو غيرها من القرائنِ التي تدلُّ على صحَّةِ التفسيرِ به. وإذا كان التفسيرُ بالقرآن ممن هو دون النَّبيِّ ﷺ، فهو من اجتهادِ المفسِّرِ به، لذا قد يختلفُ مفسر وغيرُه في حمل آيةٍ على آيةٍ، وإنما كان ذلك بسبب الاجتهادِ». انتهى بحروفه.

وفي سياق متصل، فإن للدكتور/ مساعد الطيار، تحقيقاتٍ نفائسَ حسانا محرَّرةً، فيحسن إيراد جمل منها ههنا تتميما للفائدة، فبين في الرسالة نفسها (ص: ١٩-٣٠)، أن أصل منشأ الخطأ والخلط، في هذه المسألة أن بعض المعاصرين من أهل العلم جعلوا التفسير بالمأثور مقابلا للتفسير بالرأي، فعرَّفوا الأول بأنه: تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة، وبأقوال التابعين. ومع أن مفهوم مصطلح التفسير بالمأثور وإن كان معروفا عند العلماء السابقين، إلا أن تعريفه بهذا مصطلحٌ معاصر، ليس لهم فيه سلَف، فتضمن هذا خلطا وعدم اطراد، مما يدلُّ على عدم تحريره وصحَّته؛ لأمور منها: أنَّ المعروف من لفظة مأثور: ما أُثرَ عن السابقين. وإذا كان ذلك كذلك؛ فكيف يكون تفسير القرآن بالقرآن مأثوراً، وإلا فعَنْ مَنْ أُثِر إذن؟!، إلا باعتبار أنّه مما أُثِر فيه عن النبي ﷺ، أو عن أحد من الصحابة أو التابعين؛ تفسيرُ آية بأخرى، عن طريق الرواية، ومنها: أنه يُفهَم مِنْ جَعْل التفسير بالرأي قسيمًا للتفسير بالمأثور، أنَّ التفسير بالرأي هو ما عدا الأربعة التي عرَّفوا بها التفسير بالمأثور، وفي هذا إغفالٌ عن وقوع الاجتهاد في التفسير عند السلف صحابةً وتابعين، وعندئذ: فهل يعدُّ اجتهادهم تفسيرا بالرأي، أو يُعدُّ بالنسبة لهم مأثوراً؟ فمما لا شكَّ فيه أن الأصل في حمل معنى آية على آية أنه من اجتهاد المفسِّر نفسِه، سواءً أكان صحابيا سوى ما له حكم الرفع وما ليس للرأي فيه مجال، أو ممن هو دونه، ولا يُشكِل على هذا أن تفسير الصحابةِ مأثورٌ بالنسبة للتابعين أي: بطريق الرواية، وتفسير التابعين كذلك بالنسبة لأتباعهم، وبهذا الاعتبار تحدَّد تفسير السلف في طبقاتِه الثلاثِ (الصحابة والتابعين وأتباع التابعين)، كما هو ظاهرٌ في اشتمال كتب التفسير بالمأثور، على المرويات عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في التفسير، لا على أساس أن نفس أقوالهم في التفسير ليست اجتهادا بالنسبة لهم، ومنها: أن المتبادَر من هذا التقسيم أن التفسير بالمأثور مُطلَق القبول، وأصح من التفسير بالرأي- أي: غير المذموم- دونما أيٍّ من الضوابط والاعتبارات المرعية في هذا. فكيف يصح هذا – على طريقة الذين جعلوا تفسير القرآن بالقرآن من المأثور-مع أن من المعلوم أن من أهل البدع والخرافات، طوائفَ يحملون بعض الآي على بعضٍ، زاعمين أن صنيعهم هذا، هو أيضا من قبيل تفسير القرآن بالقرآن؟!.

ثم استطرد يحفظه الله تعالى في تحرير هذه المسألة، فخلُص إلى نتيجة مهمة مفادها: أنه إذا تبين ما سبق، فإنَّ التفسيرَ المأثورَ عن السلف على قسمين، أحدهما: المنقول المحض

موضحةٌ، ثم بأقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك؛ لِما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها؛ ولِما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، ثم إنْ لم يوجَد التفسيرُ في القرآن ولا في السنة ولا عن الصحابة؛ فقد رجع كثيرٌ من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، فتابعيهم ومن بعدهم، فتُذكر أقوالُهم في الآية، فيقع في عباراتهم تباينٌ في الألفاظ؛ لأن منهم من يعبِّر عن الشيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتفطَّنِ اللبيبُ لذلك، ولا يُرتابُ في أنَّ ما أجمع عليه التابعون حجةٌ، فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب؛ في أسلوبها، وطرائق نظمها، أو أقوال الصحابة في ذلك.

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «من قال في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار»[1]، وعن جندب بن

الذي لا يمكن أن يرد فيه اجتهاد، ويشمل: تفسير النبي ﷺ، وأسباب النُّزول، وقصص الآي، والغيبيات، وثانيهما: ما كان لهم فيه اجتهاد ورأي، ولا يُتصوَّرُ أن يكون رأيهم إلا محمودا؛ إذ لا يقولون في القرآن بغير علم، ولِما لهم من المزايا والخصائص التي منها أنهم بمعزلٍ عن الأهواء المذهبية الحاملة على تحريف المعاني. وأما وجود قول ضعيف في تفسيرهم فلا يعني أنه من الرأي المذموم، وكذلك ما عسى أن يرد من تفسيرات غريبة عن بعضهم، فإنما هي أفراد نادرة لا تكاد تُذكر. انتهى منه مختصرا.

(١) رواه أحمد في المسند، بهذا اللفظ، برقم: (٢٠٦٩)؛ والترمذي في جامعه بمعناه، في: أبواب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، برقم: (٢٩٥١)، وقال: «هذا حديث حسن».

عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ، قال: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[(١)]، أي: لأنه قد تكلَّف ما لا علم له به، وسلك غير ما أُمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه؛ ولهذا تحرَّج جماعةٌ من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعا، فلا حرج عليه؛ ولهذا رُوي عن هؤلاء وغيرهم أقوالٌ في التفسير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد[(٢)].

ومما هو بسبيل هذا وله به ارتباط وثيقٌ، وتلازمٌ أكيد، مجال الهدايات القرآنية؛ لأنه ناظرٌ إلى التفسير تابعٌ له، بل هو ثمرة فهم المعنى[(٣)]؛ ولهذا فإن للعلماء عبر التأريخ جهودا طويلة في تدبر كلام الله تعالى، ومحاولة فهمه، والوصول إلى هداياته، سالكين -من خلال التتبع والاستقراء -طرقا محددة في استخراج هذه الهدايات، ولهم في كل طريق تأصيل وتفصيل يطول، وهي طرق

(١) رواه الترمذي في جامعه في: أبواب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، برقم: (٢٩٥٢)، وقال: هذا حديث غريب، وهكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، أنهم شددوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم. وأما الذي رُوِي عن بعض أهل العلم، كمجاهد وقتادة وغيرهما، أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم. وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا، أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم. انتهى النقل عن الإمام الترمذي، بتصرف يسير؛ وينظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، (٨/ ٢٢٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٧-١٣) باختصار.

(٣) ينظر: طرق استخراج العلماء للهدايات القرآنية، لطه عابدين حمد، (ص: ٢٨٦).

من الأهمية بمكان معرفتها، وتنمية الملكة في تطبيقها؛ إذ لا يستغني عنها مَنْ يريد أن يصل إلى هدايات هذا الكتاب المجيد[١]. وتتلخص هذه الطرقُ من حيث الإجمال في خمس دوائر:

١- المفردة القرآنية: (دلالات اللفظ، اختلاف القراءات، رسم المصحف للمفردة).

٢- الجملة: (تنوع الأساليب، السياق، المناسبات، ورود أسماء الله الحسنى، وأوجه الإعراب المحتملة).

٣- أصول فهم الوحي: (مجموع أدلة الوحيين، وآثار الصحابة والتابعين).

٤- قرائن الوحي: (أحوال النزول، وقراءة النبي ﷺ للآيات والسور، ومكتشفات العلوم التطبيقية، والواقع).

٥- (مقاصد القرآن وسوره، وأصول الشريعة، وحكم التشريع وأسراره)[٢].

ومن هذه الطرقِ الآنفةِ نفسِها طرقٌ دائمة التوظيف عند استخراج الهدايات القرآنية، وهي: الألفاظ، والأساليب، والسياق، وأحوال النزول، ومجموع أدلة الوحي، وآثار السلف الصالح، ومقاصد القرآن، وأصول الشريعة[٣].

---

(١) ينظر: طرق استخراج العلماء للهدايات القرآنية، لطه عابدين حمد، (ص: ٧٣، ٨٣).

(٢) نفسه، (ص: ٨٤).

(٣) نفسه، (ص: ٨٥).

وبهذا يُعلم أن لاستخراج الهدايات القرآنية معالمَ راسخةً، وضوابطَ مقرَّرَةً، ومسالكَ مسلوكةً على جادَّةً متينةٍ، عند أهل التخصص، بما هو بمعزل عن التشهِّي والهوى، أو محاولة تأتِّيها بمجرد «ما يخطر... من بادىء الرأي دون إحاطة بجوانب الآية، ومواد التفسير مقتصرا على بعض الأدلة دون بعض؛ كأن يعتمد على ما يبدو من وجه العربية فقط»[(١)].

ثم إن الهداية قد تكون في كلمة قرآنية واحدة ولو حرفا، وأما الآية فلا تخلو من جملة هدايات، بل قد يُستنبط فيها عشرات الهدايات[(٢)].

ومما يستدعيه المقام ههنا، وتجدر الإشارة إليه، أنه وإن تنوعت الأساليبُ المسلوكة في صياغة الهدايات وتعددت، إلا أنه توصّلَ أهلُ التخصص بالتتبع والاستقراء إلى معاييرَ مُثْلَى، سلكها العلماءُ فدرجوا عليها في صياغة الهدايات القرآنية، فينبغي مراعاتها والتقيد بها[(٣)].

وبعد، فقد آن الأوان للشروع في استخراج هدايات آيات الحج من سورة الحج آيةً آيةً من آية (٢٥-٣٧)، ذاكرا عند كلِّ آيةٍ ما لاح مِنْ قصتها، ومناسبتها

---

(١) ما بين القوسين نص كلام الطاهر بن عاشور في: التحرير والتنوير (١/ ٣٠).

(٢) ينظر: الهدايات القرآنية -دراسة تأصيلية (١/ ٤٧).

(٣) بيَّن هذا بإتقان فائقٍ وبشيء من التفصيل والإيضاح، فضيلةُ شيخي أ. د. طه عابدين حمد - فأفاد وأجاد - في كتابه: (طرق استخراج العلماء للهدايات القرآنية، ص: ٢٧٨- ٢٨٦)، موجزا هذه المعاييرَ المثلى في صياغة الهدايات القرآنية في عشر نقاط، هي: ١- الوضوح ٢- الاختصار ٣- التسلسل ٤- الاستيعاب ٥- المعاصرة ٦- عدم التكرار ٧- تجنب التداخل ٨- تجنب التناقض ٩- التحفيز للعمل ١٠- تنزيل الهداية على الواقع. انتهى.

لسابقتها، مُرقما - في تسلسل- هداياتِ كلِّ آيةٍ أو آيتين على حِدة، متوخيا في ذلك اقتفاءَ ما درج عليه العلماءُ، وانتهجه أهلُ التخصص فارتضوْه في استخراج (الهدايات القرآنية)، وفي صياغتها في غير ما تعسُّفاتٍ، أو تكلُّفاتٍ مغتصبات.

فاللهم عونَك وتيسيرَك!

قال الله ﷻ وتقدست أسماؤه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥].

ورد في قصة نزول هذه الآية، أن ذلك كان عام الحديبية(١)، حين صَدَّ كفارُ قريش رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام(٢)، ولم يُعلَم لهم صدٌّ قبل ذلك، إلا لأفراد من الناس، كما وقع في صدر مبعثِ النبي ﷺ(٣).

---

(١) وذلك في سنة ست من الهجرة النبوية بلا خلاف، كذا قال ابن كثير، في: السيرة النبوية، (٣/ ٣١٢)، قال: «وممن نص على ذلك الزهري، ونافع مولى ابن عمر، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق بن يسار وغيرهم».

(٢) ففي صحيح البخاري برقم: (١٨٠٩)، عن عكرمة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «قَدْ أُحْصِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَلَقَ رَأْسَهُ، وَجَامَعَ نِسَاءَهُ، وَنَحَرَ هَدْيَهُ، حَتَّى اعْتَمَرَ عَامًا قَابِلًا». وينظر: المحرر الوجيز (٤/ ١١٥)؛ ومفاتيح الغيب، (٢٣/ ٢١٦)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٢/ ٣١)؛ وتفسير ابن كثير، (٥/ ٤٠٩)؛ واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي (١٤/ ٥٦)؛ وفتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٢٨).

(٣) المحرر الوجيز (٤/ ١١٥)، بتصرف يسير؛ وينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٢/ ٣١).

ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه بعد أنْ فصل الله فيما تقدَّم من سياق الآيات بين الفريقين: الكفار والمؤمنين؛ أعقب ذلك بذكر عِظَمِ حُرمَةِ البيت مع عِظَمِ كفرِ هؤلاء بما جاء به محمدٌ ﷺ، مع أن من شأنهم الصَّدُّ عن سبيل الله والمسجد الحرام؛ وذلك بإبائهم ومنعهم من الهجرة والجهاد في سبيل الله[(١)]، مع بيان ما يدل على استمرار كفر فريق الكفار، ويؤكد بيان جزائهم فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، الآية[(٢)].

وكذلك، فإن وعيد الكفار في هذه الآية؛ مقابَلٌ لوعده ﷻ المؤمنين في قوله تعالى الآنف: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [آية: ٢٤]، قال ابن عاشور: «فموقع هذه الجملة الاستئناف البياني. والمعنى: كما كان سبب استحقاق المؤمنين ذلك النعيم اتباعهم صراط الله، كذلك كان سبب استحقاق المشركين ذلك العذاب كفرهم وصدهم عن سبيل الله. وفيه: مع هذه المناسبة لما قبله تخلصٌ بديع إلى ما بعده من بيان حق المسلمين في المسجد الحرام، وتهويلُ أمر الإلحاد فيه، والتنويه به، وتنزيهه عن أن يكون مأوى للشرك ورجس الظلم والعدوان»[(٣)].

الهدايات والفوائد من الآية الكريمة

١- في الآية - مع ما تقدم من مناسبتها لما قبلها- تخلُّصٌ بديع إلى بيان

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢١٦)؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٣).
(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٣).
(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٣٥-٢٣٦).

حق المسلمين في المسجد الحرام، وتهويل أمر الإلحاد فيه، وتنويهٌ بالمسجد الحرام وتنزيهه عن أن يكون مأوى للشرك ورجس الظلم والعدوان(١).

٢- خُصَّ الصدُّ عن المسجد الحرام بالذكر، مع أنه مما شمله الصدُّ عن سبيل الله؛ للاهتمام به، ولينتقل منه إلى التنويه بالمسجد الحرام، وذكر بنائه، وما تبع هذا من شرع الحج من لدن عهد إبراهيم عليه السلام(٢).

٣- التعبير بالمضارع في جملة: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يفيد أن هذا الصدودَ منهم مستمرٌّ دائم(٣)، أي: وهم يصدون، وبهذا حسُن عطف المستقبل على الماضي(٤).

٤- وفي هذا الاستمرار المستفاد من التعبير بالمضارع في: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أن من شأن الكفار ومِن أوصافهم؛ الصدُّ عن سبيل الله، وهو نظير قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ١٣](٥).

٥- ولعله إنما كان التعبير بالمضارع في جملة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ لإرادة الرحمة بالمخاطبين ومن في حكمهم؛ ليكون استمرار

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٣) الكشاف، (٣/ ١٥١)؛ وينظر: المحرر الوجيز، (٤/ ١١٥)؛ وتفسير أبي السعود، (٦/ ١٠٣).

(٤) المحرر الوجيز، (٤/ ١١٥)؛ وتفسير أبي السعود، (٦/ ١٠٣)؛ واللباب في علوم الكتاب، (١٤/ ٥٦).

(٥) جامع البيان (١٨/ ٥٩٧)، بتصرف يسير؛ وينظر: المحرر الوجيز (٤/ ١١٥)؛ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٧/ ٤٩٨).

الصد منهم، كالشرط في الكفر، فيدل على أن من ترك الصدَّ زال عنه الكفر، وإن طال ذلك منه[(١)].

٦- يؤخذ من التشنيع في الصدِّ عن المسجد الحرام؛ تشنيعُ الصدِّ عن زيارته، وتشنيعُ صدِّ قاصديه عن دخوله والصلاة فيه والطواف بالبيت، ونحو ذلك من المقاصد الشريفة التي لأجلها يؤمُّ المؤمنون المسجد الحرام.

٧- وفي حذف خبر إن في جملة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ تهويلٌ لشناعة هذا الفعل، وأن القائمين به متوعَّدون بالوعيد الفظيع بالهلاك، وبالتهديد الخطير بالانتقام منهم[(٢)].

٨- وفي مجيء الوعيد في الصد عن المسجد الحرام، مقرونٌ بالوعيد في الصد عن سبيل الله؛ لأن الله جعل المسجد الحرام قبلةً للناس ومتعبَّدَهم[(٣)].

٩- وفي وصف اللهِ المسجدَ الحرامَ بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾، الاستواءُ في نفس المسجد الحرام، وهو القدر المجمَع عليه[(٤)].

١٠- يستفاد من إطلاق الناس ههنا، أن ذلك يشمل الذين يقع عليهم اسم

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٣-٣٤).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٦٦)؛ وزاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٢٩)؛ وتفسير البيضاوي (٤/ ٦٩).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز، (٤/ ١١٥).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ١١٦)؛ والجامع لأحكام القرآن، (١٢/ ٣٤)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٣٨).

الناس من غير فرق بين حاضر وباد وبعيد، وطارئ ومكي وآفاقي[١].

١١- كما أن فيه أن الاستواء في جملة: ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾؛ إنما هو بصفة كونه مسجدا وُضع أوّلَ ما وُضِع؛ للعبادة وأداء المناسك كالطواف والسعي، ومن ملحقات هذا جميع المشاعر كالوقوف بعرفة[٢]. كما أن في ذلك أن الله ﷻ جعل لأوليائه المؤمنين خصوصيةً في المسجد الحرام؛ لإقامة شعائره ﷻ فيه؛ من الطواف والصلاة والحج والاعتمار؛ ولأجل هذا المعنى كان صدُّهم عنه ظلما شديدا[٣].

١٢- يؤخذُ من وصف اللهِ المسجدَ الحرامَ بقوله: ﴿ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾؛ زيادةُ تشنيع الصادين عن المسجد الحرام[٤]؛ وللإيماء إلى أن علة مؤاخذة المشركين؛ إنما هو بسبب صدهم عن المسجد الحرام؛ لأجل أنهم خالفوا ما أراد الله منه؛ إذ جعله للناس كلهم يستوي في أحقية التعبد به العاكف فيه، المستقر الملازم له، والبادي، أي: البعيد عنه إذا دخله[٥].

١٣- وفي التعبير بـ﴿ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ﴾، كناية عن الساكن بمكة، ومن شأنه، أن يعكتف كثيرا في المسجد الحرام؛ بدليل مقابلته بالبادي البعيد عنها، وفي ذكر

---

(١) الكشاف، (٣/ ١٥١)، بتصرف يسير.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٣٧).
(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٣-٣٤).
(٤) ينظر: تفسير أبي السعود (٦/ ١٠٣).
(٥) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٣٧).

العكوف ههنا تعريضٌ بأن ساكني مكة لا يستحقون بسبب سكناها مزيةً على غيرهم، من أهل البوادي والآفاق، ولا أن يستأثروا بالمسجد الحرام دونهم[(١)].

١٤- يؤخذ منها أن من أعظم صور الإلحاد المتوعَّدِ عليها «انتهاك حرمات الحرم»[(٢)]، بأي صورة من صُور هذا الانتهاك.

١٥- يستفاد من حذف مفعول ﴿يُرِدۡ﴾، أن يتناولَ هذا التهديد ههنا كلَّ مُتناوَل، فيعمَّ كلَّ ما يصدُق عليه أنه إلحاد بظلم في المسجد الحرام[(٣)].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، (١٧/ ٢٣٧).

(٢) أضواء البيان، (٤/ ٢٩٤). ثم قال الشيخ رحمه الله في هذا الموضع مبينا الصور التي يصدُق عليها أنها إلحادٌ بظلم في المسجد الحرام: «الذي يظهر في هذه المسألة أن كل مخالفة بترك واجب، أو فعل محرم تدخل في الظلم المذكور، وأما الجائزات كعتاب الرجل امرأته، أو عبده، فليس من الإلحاد، ولا من الظلم». انتهى

قلتُ: وبهذا تكون الأقوال التي وردت في المراد بالإلحاد عن بعض السلف الصالح، من قبيل اختلاف تنوع، على سبيل التفسير بالمثال بذكر بعض أفراد الإلحاد، بما لا يتنافى مع عمومه. ينظر هذه الأقوال في: جامع البيان (١٨/ ٦٠١-٦٠٣)؛ والنكت والعيون (٤/ ١٦).

(٣) هذا على أحد القولين في توجيه الباء في ﴿بِإِلۡحَادِ﴾، كما هو اختيار الزمخشري ومن تبعه. ينظر: الكشاف، (٣/ ١٥١)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢١٨)؛ وتفسير أبي السعود، (٦/ ١٠٣). والقول الآخر: أن الباء زائدة دخلت على المفعول به؛ للتأكيد. ينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة (٢/ ٤٨)؛ والتفسير البسيط، للواحدي، (١٥/ ٣٤٧) ونسب هذا إلى جميع أهل المعاني؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٣٩)، قال الشنقيطي في: (أضواء البيان، ٤/ ٢٩٤): «قد أوضحنا إزالة الإشكال عن دخول الباء على المفعول في قوله: ﴿بِإِلۡحَادِ﴾، ونظائره في القرآن، وأكثرنا على ذلك من الشواهد العربية». واستروح آخرون من الأجلاء أن الأولى في هذا تضمين الفعل ﴿يُرِدۡ﴾ معنى يُهِمُّ ويتلبس، فيتعدى بالباء، أي: يُهِمُّ ويتلبس بميل إلى الفسوق والمعاصي. ينظر: أحكام القرآن لابن العربي، (٣/ ٢٧٧)؛ والبحر المحيط، لأبي حيان (٧/ ٥٠٠)؛ وتفسير ابن كثير، (٥/ ٤١١).

١٦- يؤخذ من فحوى هذا التهديدِ في هذا السياق: أنّ الواجب على من كان في المسجد الحرام أن يضبط نفسه، ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهمّ به ويقصده[(١)].

١٧- يستفاد من مجيء (الإلحاد) منكَّرًا في سياق الشرط، أنه يعم كل ميل وعدول عن القصد، فيعم «جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر، فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى على نية السيئة فيه، ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بذلك إلا في مكة، هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم»[(٢)].

١٨- فيها تنفيرٌ عن وصف الكفار الموصوفين بالكفر وبالصد عن سبيل الله والمسجد الحرام؛ وشمولُ هذا الوعيد لأي إرادةٍ لوقوعِ شيءٍ من أنواع الأفعالِ التي توصفُ بأنها إلحادٌ في المسجد الحرام[(٣)].

١٩- يستفاد من اقتران الظلم بالإلحاد ههنا، أن المراد بهذا الإلحاد ما يكون فيه ميلٌ إلى الظلم، ولأنه لا معصية كبرت أم صغرت إلا وهي ظلم؛ ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[(٤)]. وفي هذا القيد احترازٌ مما كان بوجه حقٍّ، كصدّ المسلمين الكفارَ عن المسجد الحرام، فإنه بحق؛ لأنهم

---

(١) الكشاف، (٣/ ١٥١)، بتصرف يسير؛ وينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢١٨)؛ وتفسير أبي السعود، (٦/ ١٠٣).

(٢) المحرر الوجيز (٤/ ١١٦)؛ وينظر: أضواء البيان، (٤/ ٢٩٤).

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٤).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، (٢٣/ ٢١٨)؛ وتفسير أبي السعود، (٦/ ١٠٣).

نجس لا ينبغي قربانهم المحال المقدسة، وكذا صد الحائض والجنب والخائن[(١)]، ومثلُ مَنْ عُلِم أنه مِنْ أهل البغي والإضرار بالمسلمين.

قال الله ﷻ جلّ ذكرُه:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾

ورد في قصة هذه الآية أثرُ علي رضي الله عنه، قال: «لَمَّا أُمِرَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام بِبِنَاءِ الْبَيْتِ خَرَجَ مَعَهُ إِسْمَاعِيلُ وَهَاجَرُ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ رَأَى عَلَى رَأْسِهِ فِي مَوْضِعِ الْبَيْتِ مِثْلَ الْغَمَامَةِ فِيهِ مِثْلُ الرَّأْسِ فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ ابْنِ عَلَى ظِلِّي أَوْ عَلَى قَدْرِي وَلَا تَزِدْ وَلَا تَنْقُصْ فَلَمَّا بَنَى خَرَجَ، وَخَلَّفَ إِسْمَاعِيلَ وَهَاجَرَ، وَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ اللهُ عز وجل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦][(٢)].

ثم إن هذه الآية «عطف على جملة: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾، عطف قصة على قصة»[(٣)].

وكذلك فـ«بعد أن ذكر الله تعالى موقف المشركين من الصد عن المسجد

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٤).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، برقم: (٤٠٢٤)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وهذا الأثر في: (الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، لحكمت بن بشير بن ياسين، ٣/ ٤١٠).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٠).

الحرام، أراد تعالى بيان مكانة البيت الحرام، وتوبيخ أولئك المشركين على فعلهم، فإن أباهم إبراهيم عليه السلام هو الذي بناه، وأمر بتطهيره للطائفين والمصلين، وأن يدعو الناس إلى الحج، للحصول على المنافع الدينية والدنيوية»[(١)].

الهدايات والفوائد من الآية الكريمة

١- في الآية تعليلٌ للجملة قبلها: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ المعطوفة عليها؛ من جهة «أن الملحد في المسجد الحرام قد خالف بإلحاده فيه ما أراده الله من تطهيره حين أمر ببنائه، والتخلص من ذلك إلى إثبات ظلم المشركين، وكفرانهم نعمة الله في إقامة المسجد الحرام وتشريع الحج»[(٢)].

٢- في التعبير بـ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾ الآية - بإضافة اسم الزمان إلى الجملة الفعلية دون المصدر- إشارةٌ إلى أن زمن حدوثِ هذه التبوئةِ زمنٌ عظيم، في وقت عظيم، في مناسبة جليلة عظيمة، وصار هذا الزمن العظيم بما يدل عليه الفعل﴿بَوَّأْنَا﴾ من التجدد كأنه زمن حاضر[(٣)].

٣- يؤخذ من تعريف البيت بلام العهد في: ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾، أنه معروف معهود عند نزول القرآن؛ فلذلك عرف بلام العهد، ولولا هذه النكتة لكان ذكرُ ﴿مَكَانَ﴾ حشوا[(٤)].

---

(١) التفسير المنير للزحيلي (١٧/ ١٩٣).
(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٠)
(٣) نفسه، (١٧/ ٢٤٠)، بتصرف يسير.
(٤) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤١)، بتصرف يسير.

٤- من أجلِّ الهدايات النفائس في جملة: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾؛ أنْ بيَّن الله ﷻ لإبراهيم عليه السلام عيْنَ موضع البيتِ فبناه فيه، ولم يكن يدري أين يبنيه[(١)]، فهيَّأ له مكان بنائه، وعرَّفه إياه، كما يُهيَّأ ويُعرَّفُ المكانُ لمن يريد النزولَ فيه، فبناه عليه السلام على قواعده الأصلية المندرسة بأمر ربه ﷻ[(٢)].

٥- وفي تبوئة الله ﷻ لإبراهيم عليه السلام مكان البيت، إذنه بأن يتخذه مَباءة، أي: مقرا يبني فيه بيتا؛ لغرض أن يكون مأوى للدين، ومعهدا لإقامة شعائره، فاستتبع التشوُّفُ لتحقيق هذا الغرض أنْ يترقب إبراهيم عليه السلام تعليما من ربه ﷻ للتعريف بالدين؛ فلذلك أعقب بحرف (أن) التفسيرية، التي تقع بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه، فتقرر آنئذ: أن أصل الدين هو نفي الإشراك بالله، وجعلَ البيت معلما للتوحيد بإعلام وإعلان لجميع الناس[(٣)].

٦- كما يستفاد من اللام في ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ﴾، مزيد اختصاص تشريفٍ وتكريم له عليه السلام، بأن خصه الله ﷻ بهذه المزية الكبرى[(٤)]، التي هي من أبرز ضروبِ العناية والتكرمة لخليل الله إبراهيم عليه السلام، بما يناسب مقامه عند ربه ﷻ[(٥)].

٧- من الهدايات المستفادة في دلالات التبوئة، أن الله جل جلاله يجعل هذا البيتَ

---

(١) **ينظر:** التفسير البسيط (١٥/ ٣٥٥)؛ وأضواء البيان، (٤/ ٢٩٦).

(٢) **ينظر:** التفسير البسيط (١٥/ ٣٥٥)؛ وأضواء البيان، (٤/ ٢٩٦)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٠).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٠-٢٤١)، بتصرف لا يضر.

(٤) **ينظر:** المحرر الوجيز، (٤/ ١١٧)؛ روح المعاني (٩/ ١٣٥)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٤١).

(٥) **ينظر:** روح المعاني (٩/ ١٣٥)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٤١)، وفيهما في هذين الموضعين، أن اللام في ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ﴾ لام العلة، أي: لأجل إبراهيم، مثل اللام في قولهم: شكرتك لأجلك.

﴿قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾، يكون به قوامهم في مصالحهم الدينية والدنيوية، كما قال في آية سورة المائدة: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧][(١)].

٨- وفي تبوئة الله البيتَ لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكان له مَنزِلا مُمَكَّنا فيه مُهيَّا له ولذريته والمؤمنين بعد ذلك؛ لفتٌ إلى ما أودع الله فيه من اللطائف والآيات البينات الباهرات -كما قال تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران:] -، فصار لهذه المعاني العِظام أهلا لأن يرجع ويؤوبُ إليه من فارقه، أو ابتعد عنه تحنانا واشتياقا حينا فحينا آونة فأخرى[(٢)]. قال ابن عطية: «قل ما يفارق أحدٌ البيتَ إلا وهو يرى أنه لم يقض منه وطرا»[(٣)].

٩- وفي إضافة البيت إلى ضمير الجلالة في ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ تشريفٌ للبيت وتنويهٌ به[(٤)].

١٠- جاءت التبوءةُ في الآية مفسّرَةً بـ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، بما فيه لفتٌ إلى أعظم الهدايات التي يجيء في طليعتها: أن يكون البيت الحرام منذ ذلك الحين رمزا لتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيكون منه المنطلَقُ بالإعلان بالتوحيد الخاص الحق، وإعلام الناس بهذا كافة، فيعبدون رب هذا البيت لا يشركون به شيئا. ويدخل في هذا دخولا أوليا، الأمر

(١) ينظر: جامع البيان (١١/ ٩٤).
(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٥).
(٣) المحرر الوجيز، (١/ ٢٠٧).
(٤) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤١)، بتصرف يسير.

بتطهير البيت بما يشمل التطهير المعنوي والحسي، بأن يُطهَّر من الكفر وأسبابه ووسائله، ومن البدع، والزندقة، والإلحاد والزيغ، ومن جميع أمور الجاهلية على تنوعها وتجدّدها واستحداثها[(١)].

١١- «يؤخذ من هذه الآية الكريمة: أنه لا يجوز أن يترك عند بيت الله الحرام قذر من الأقذار، ولا نجس من الأنجاس المعنوية ولا الحسية، فلا يترك فيه أحد يرتكب ما لا يرضي الله، ولا أحد يلوثه بقذر من النجاسات»[(٢)].

---

(١) **ينظر:** أضواء البيان (٤/ ٢٩٦)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٤١).

(٢) أضواء البيان (٤/ ٢٩٦)، ثم استطرد الشيخ الشنقيطي يرحمه الله في السياق نفسه، فقال: «ولا شك أن دخول المصورين في المسجد الحرام حول بيت الله الحرام بآلات التصوير يصورون بها الطائفين والقائمين والركع السجود - أن ذلك مناف لما أمر الله به من تطهير بيته الحرام للطائفين والقائمين والركع السجود، فانتهاك حرمة بيت الله بارتكاب حرمة التصوير عنده لا يجوز؛ لأن تصوير الإنسان دلت الأحاديث الصحيحة على أنه حرام، وظاهرها العموم في كل أنواع التصوير، ولا شك أن ارتكاب أي شيء حرمه رسول الله ﷺ أنه من الأقذار والأنجاس المعنوية التي يلزم تطهير بيت الله منها. وكذلك ما يقع في المسجد من الكلام المخل بالدين والتوحيد لا يجوز إقرار شيء منه ولا تركه». انتهى. و**ينظر:** مجموع فتاوى العلامة الشيخ ابن باز، (٤/ ٢١٠-٢٢٥)، فقد ذكر يرحمه الله جملة من الأحاديث وما جاء في معناها في تحريم التصوير، ثم قال (٤/ ٢١٤-٢١٥): «وهذه الأحاديث وما جاء في معناها دالة دلالة ظاهرة على تحريم التصوير لكل ذي روح، وأن ذلك من كبائر الذنوب المتوعد عليها بالنار. وهي عامة لأنواع التصوير سواء كان للصورة ظل أم لا، وسواء كان التصوير في حائط أو ستر أو قميص أو مرآة أو قرطاس أو غير ذلك؛ لأن النبي ﷺ لم يفرق بين ما له ظل وغيره، ولا بين ما جعل في ستر أو غيره، بل لعن المصور، وأخبر أن المصورين أشد الناس عذابا يوم القيامة، وأن كل مصور في النار، وأطلق ذلك ولم يستثن شيئا». انتهى.

١٢- من الهدايات ههنا أن تطهير البيت من الشرك وغيره هو نفسه العهد إلى إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]؛ فالعهد هو إيصاؤه بالتطهير المذكور(١).

١٣- يؤخذ من تعلُّق ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾، بـ﴿وَطَهِّرْ﴾؛ في جملة: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾؛ خصوصيةٌ للطائفين بالبيت وتنويهٌ بشرفهم، هم ومنْ في حكمهم من المصلين فيه القائمين الركّع السجود، فهذا تنويهٌ من الله جل جلاله وحفاوةٌ منه بعباده هؤلاء الذين هذه نعوتهم، وإيذانٌ بما لهم من خصوصياتٍ ومزايا في بيته الحرام(٢).

ثم إن الاختلاف بين العلماء في التصوير والصور، وإن كان حاصلا، إلا أنهم أجمعوا على تحريم الصور المجسمة لذوات الأرواح؛ للنصوص الصحيحة الصريحة في ذلك، ثم اختلفوا في الصور الشمسية: فذهب بعضهم إلى دخولها في التحريم؛ مستدلين بعموم النصوص. وذهب آخرون إلى إباحتها وأنها لا تدخل في عموم النصوص، على تفاصيل في ذلك ليس هذا محل بسطها.

ينظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، للشيخ/ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، (٣/ ١٢٥).

قلتُ: ومن المفيد ههنا مراعاة أنَّ ما كان من هذا تستدعيه الضرورات، وتقتضيه النوازل، فإن الضرورات تُقدَّرُ بقدرها ولا يُتوسَّع فيها، وأنْ لا يُتذرع بذلك إلى الحيل والذرائع المحرمة.

(١) أضواء البيان (٤/ ٢٩٧)، بتصرف يسير. وهذا على أنَّ (أنْ) في ﴿أَن طَهِّرَا﴾ هي المفسرة، كما في: نفس الموضع.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٣)؛ وروح المعاني (٩/ ١٣٦)؛ ومحاسن التأويل، للقاسمي

١٤- يستفاد من مقتضيات الأمر بتطهير البيت للطائفين والقائمين والركع السجود؛ أنه كفى بهذا وعيدا فظيعا وتشنيعا لمن رام إيذاءَ وإضرارَ عبادِ الله الذين هذه نعوتهم، وتلك خصوصياتهم ومزاياهم عند الله ﷻ، كما سبق إيضاحه آنفا.

١٥- يستفاد من تقديم وصف الطائفين على غيره من هذه الأوصاف الجليلة؛ اختصاصُ الطواف بهذا البيت، وأنه أخص العبادات عند البيت، فلا يفعل ببقعة من الأرض سواها[(١)].

١٦- كما يستفاد من اقتران ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ - وهم المصلون[(٢)] الذين من أجل أوصافهم أنهم الرّكع السجود - بالطواف؛ لأنهما، أي: الطواف والصلاة لا يشرعان إلا مختصين بالبيت، فالطواف عنده، والصلاة إليه في غالب الأحوال، إلا ما استثني من الصلاة عند اشتباه القبلة وفي الحرب، وفي النافلة في السفر[(٣)].

(٧/ ٢٤٠)؛ وتفسير السعدي (ص: ٥٣٧)، قال: «أي: طهره لهؤلاء الفضلاء، الذين همهم طاعة مولاهم وخدمته، والتقرب إليه عند بيته، فهؤلاء لهم الحق، ولهم الإكرام، ومن إكرامهم تطهير البيت لأجلهم».

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٣) بتصرف يسير؛ وينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٣٧).

(٢) وقد يراد بـ{القائمين}، القائمون حول بيت الله الحرام تعظيماً لله ﷻ كما تفعله الملائكة حول عرشه ﷻ. ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٦)، وقال ابن عاشور في (التحرير والتنوير ١٧/ ٢٤٢): «والمراد بالقائمين: الداعون تجاه الكعبة، ومنه سمي مقام إبراهيم، وهو مكان قيامه للدعاء فكان الملتزم موضعا للدعاء».

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٣) بتصرف يسير.

١٧- يستفاد من التعبير عن الصلاة بأركانها من القيام والركوع والسجود؛ الدلالةُ على أن كل واحد منها مستقلٌ باقتضاء التطهير أو التبوئة، فكيف وقد اجتمعت؟! أو للتنصيص على أن اجتماع هذه الأركان ليس إلا في صلاة أمة محمد ﷺ[(١)].

١٨- يؤخذ من عطف القائمين على الطائفين، وتركه في {الركع السجود} في: ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾؛ أن كلا من الطواف والقيام عبادة برأسه مستقلة، وينفكّ أحدهما عن الآخر، بخلاف الركوع والسجود فلا ينفكُّ أحدهما عن الآخر، ولم يكن أحدهما عبادةً برأسه مستقلة دون الآخر، بل إن السجود هو من جنس الركوع في هيئة الخضوع والتذلل[(٢)].

١٩- في الآية أن الملحد في المسجد الحرام قد خالف بإلحاده فيه ما أراده الله من تطهيره حين أمر ببنائه، مع التعريض بكفران الكفار نعمة الله في إقامة المسجد الحرام وتشريع الحج[(٣)].

٢٠- «وفي الآية طعن على من أشرك من قطان البيت، أي: هذا كان الشرط على أبيكم فمن بعد، وأنتم لم تفوا بل أشركتم»[(٤)].

---

(١) روح المعاني (٩/ ١٣٦) بتصرف يسير.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٦-٣٧)؛ وروح المعاني (٩/ ١٣٦).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٠).

(٤) المحرر الوجيز (٤/ ١١٧)؛ وينظر: روح المعاني (٩/ ١٣٥). وهذا على أن الخطاب في ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ الآية، لإبراهيم عليه السلام، وهو القول الأصح الذي عليه الجمهور.
ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ١١٧)؛ وتفسير ابن جزي (٢/ ٣٨)؛ وروح المعاني (٩/ ١٣٧).

٢١- كذلك لا يخفى اطراد هذا الطعن والتعريض على كل من اتصف بمثل أوصاف الكفار والمشركين في عدم الوفاء بعهد أبيهم إبراهيم عليه السلام، مع تثبيت وتسلية النبي ﷺ وصحابته الكرام، بأن الله منجزٌ لهم ما وعدهم في قوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧]، ومع بشارة المؤمنين بعد ذلك بأن هذا البيت سيبقى مأرِزا للإيمان والمؤمنين(١)، وهذا ناظرٌ إلى معنى جعلِه مثابةً للناس وأمنا، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

قال سبحانه وتعالى وتقدست أسماؤه: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ لم يزل الخطاب لإبراهيم عليه السلام، كما هو قول أكثر المفسرين في قصة نزول هذه الآية، وقيل: إن الخطاب للنبي ﷺ أُمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع، ففعل ذلك حيث قال: يا أيها الناس كتب عليكم الحج(٢). قال الألوسي: «وهو خلاف الظاهر جدا ولا قرينة عليه، وقيل: يأباه

---

(١) ثبت أن الحرمين الشريفين يكونان مأرِزا للإيمان والمؤمنين، في روايات، منها: ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، برقم: (١٤٦)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا»، ومنها: ما رواه الإمام أحمد في المسند برقم: (١٦٠٤)، عن ابنٍ لسعد بن أبي وقاص، بمعنى حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) ينظر: النكت والعيون (٤/ ١٨)؛ والتفسير البسيط (١٥/ ٣٥٨)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢١٩)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٨)؛ وروح المعاني (٩/ ١٣٧)؛ وأضواء البيان (٤/ ٢٩٨). والحديث

كون السورة مكية وقد علمت ما فيه أولها»[(١)]. قلت: تقدم في المطلب الثاني من المبحث الأول ما يتعلق بنزول السورة.

واستُدِلَّ لهذا القول الأول، بما جاء عن ابن عباس ﵄، قال: «لَمَّا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ ﵇ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، قِيلَ لَهُ: أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، قَالَ: «رَبِّ، وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي»، قَالَ: أَذِّنْ، وَعَلَيَّ الْبَلَاغُ، قَالَ: فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ ﵇: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، قَالَ: فَسَمِعَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ يَجِيئُونَ مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ يُلَبُّونَ»[(٢)].

رواه أحمد في المسند، برقم: (٢٦٤٢)، عن ابن عباس ﵄، قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ». قَالَ: فَقَامَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ: أَفِي كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «لَوْ قُلْتُهَا لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهَا، وَلَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا، الْحَجُّ مَرَّةٌ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»؛ ورواه غيره من الأئمة، كما ذكر هذا الزيلعيُّ في نصب الراية، (٣/ ١ – ٧) وذكر الأحاديث التي في الباب، وأن أصل الحديث في صحيح مسلم برقم: (١٣٣٧)، عن أبي هريرة ﵁، بنحو حديث ابن عباس ﵄، وفي آخره: ثم قال رسول الله ﷺ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ».

والحاصل: أن الحديث صحيح، كذا ذكر الحافظ ابن الملقِّن في: البدر المنير (٦/ ٨–١٠)، كما ذكر أنه رواه من الأئمة: أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والنسائي، والحاكم، والبيهقي؛ وينظر: التلخيص الحبير، للحافظ ابن حجر (٢/ ٤٢٠–٤٢١).

(١) روح المعاني (٩/ ١٣٧)؛ وينظر: أضواء البيان (٤/ ٢٩٨). وقد استظهر الشيخ الشنقيطي القول الأول بدلالة السياق، وذكر أنه قول الجمهور.

(٢) رواه ابنُ أبي شيبة في مصنَّفه، برقم: (٣١٨١٨)؛ والحاكم في المستدرك، برقم: (٣٤٦٤)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»؛ والبيهقي في السنن الكبرى، برقم:

ومال السعدي يرحمه الله إلى الجمع بين القولين، فقال: «وقد فعل الخليل عليه السلام، ثم من بعده ابنه محمد ﷺ، فدعيا الناس إلى حج هذا البيت، وأبديا في ذلك وأعادا»[(١)]. وهو جمع وجيهٌ مناسبٌ؛ إذ كان النبي محمدٌ ﷺ تابعا لأبيه إبراهيم عليه السلام في ملته الحنيفية، وفي بناء البيت، وتعظيم المشاعر.

وجاء في قصة نزول هذه الآية قول ابن كثير: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ أَيْ: نَادِ فِي النَّاسِ دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى الْحَجِّ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَمَرْنَاكَ بِبِنَائِهِ. فَذُكر أَنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أُبْلِغُ النَّاسَ وَصَوْتِي لَا يَنْفُذُهُمْ؟ فَقِيلَ: نَادِ، وَعَلَيْنَا الْبَلَاغُ. فَقَامَ عَلَى مَقَامِهِ، وَقِيلَ: عَلَى الْحَجَرِ، وَقِيلَ: عَلَى الصَّفَا، وَقِيلَ: عَلَى أَبِي قُبَيس، وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ رَبَّكُمْ قَدِ اتَّخَذَ بَيْتًا فَحُجُّوهُ، فَيُقَالُ: إِنَّ الْجِبَالَ تَوَاضَعَتْ حَتَّى بَلَغَ الصَّوْتُ أَرْجَاءَ الْأَرْضِ، وأسمَعَ مَن فِي الْأَرْحَام وَالْأَصْلَابِ، وَأَجَابَهُ كُلُّ شَيْءٍ سَمِعَهُ مِنْ حَجَر ومَدَر وَشَجَرٍ، وَمَنْ كَتَبَ اللهُ أَنَّهُ يَحُجُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ». هَذَا مَضْمُونُ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَير، وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، وَاللهُ أَعْلَمُ»[(٢)].

كما جاء في أحوال نزول جملة: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ من هذه الآية، ما ورد في أثر عن مجاهد رحمه الله تعالى، قال: كَانُوا يَحُجُّونَ وَلَا

=

(٩٨٣٣). وهو في: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، لحكمت بن بشير بن ياسين، (٣/ ٤١٠).

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٣٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٤).

يَتَزَوَّدُونَ، فَرُخِّصَ لَهُمْ فِي الزَّادِ، وَكَانُوا يَحُجُّونَ وَلَا يَرْكَبُونَ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧] ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧][(١)].

ولهذه الآية ارتباط وثيق بسابقتها، من جهة أنَّ في عطف جملة: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ على سابقتها ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ الآية، «إشارة إلى أن من إكرام الزائر تنظيف المنزل، وأن ذلك يكون قبل نزول الزائر بالمكان»[(٢)].

الهدايات والفوائد من الآية الكريمة

١- من لطائف الهدايات في الآية – كما مرّ الآن في ارتباطها بسابقتها- التنويه والحفاوة بالآتين الحجَّ، كما هو مستفاد من عطف جملة ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ على سابقتها ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ الآية؛ إذ إن في هذا «إشارة إلى أن من إكرام الزائر تنظيف المنزل، وأن ذلك يكون قبل نزول الزائر بالمكان»[(٣)]. فأكرم به من تنويه وحفاوة من رب كريم جواد ودود، لعباده القاصدين الحجَّ الزائرين بيتَه الحرام، ومما يقتضيه هذا قطعا ويستلزمه ضرورة، أن يكون قاصدو بيت الله الحرام للحج والعمرة والزيارة تعبُّدا وتنسُّكا؛ منوَّها محتفًى بهم فيه مُكرَّمين مُبجَّلِين مُعزَّزِين مُصانين؛ فإنهم هم زينة المسجد الحرام، وهم

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٢٢)؛ وابن جرير الطبري في: جامع البيان (١٨/ ٦٠٨)؛ وينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٧/ ١٩٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٢).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٢).

حلية المشاعر المقدسة، وهم لآلُها، وفوق ذلك أن الله ﷻ بهم يباهي ملائكته الكرام البررة[(١)].

٢- يؤخذ من الآية أن لفظ الحج صار علما بالغلبة على الحضور بالمسجد الحرام؛ لأداء المناسك[(٢)].

٣- في الآية الكريمة نداءُ الناس ودعوتُهم إلى قصد البيت الحرام؛ لأداء مناسك الحج بإعلان وإعلام من إبراهيم عليه السلام بأمر ربه ﷻ، فيبلغه الله ﷻ من يشاء من عباده في أصلاب آبائهم، فيأتون من آفاق أقطار الأرض – بإذن الله ﷻ- مُستجيبين؛ امتثالا وطاعة لأمر ربهم في إخبات وخشوع[(٣)]، مُهِلِّين بتلبية هي كلِمَةُ التوحيد الخالص: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك[(٤)].

---

(١) روى أحمد في المسند، برقم: (٧٠٨٩)، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا»؛ والطبراني في المعجم الكبير، برقم: (١٤٥٢٢)، وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣/ ٢٥١-٢٥٢)، وقال: «رواه أحمد والطبراني في "الصغير" و "الكبير" ، ورجال أحمد موثقون». وله شاهد عند ابن حبان، في صحيحه، (٩/ ١٦٤)، برقم: (٣٨٥٣)، من حديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه، مرفوعا وفيه قوله ﷺ: «وَمَا مِنْ يوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يوْمِ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الْأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عبادي شعثا غبرا ضاحين جاؤوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي، فَلَمْ يُرَ يَوْمٌ أَكْثَرُ عِتْقًا من النار من يوم عرفة».

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٢)، بتصرف يسير.

(٣) **ينظر:** التفسير البسيط (١٥/ ٣٥٧)؛ وتفسير ابن كثير، (٥/ ٤١٤)؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٧)؛ وتفسير السعدي، (ص: ٥٣٧).

(٤) كذا في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الطويل، كما عند الإمام مسلمٍ في صحيحه، في: كتاب

٤- في الآية الكريمة «تقريعٌ وتوبيخٌ لمن عبد غير الله، وأشرك به من قريش، في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فذكر تعالى أنه بوأ لإبراهيم مكان البيت، أي: أرشده إليه، وسلمه له، وأذن له في بنائه»(١).

٥- وفي لفت الخطاب إلى إبراهيم عليه السلام في ﴿يَأْتُوكَ﴾، مع أن الناس إنما يأتون الكعبة المشرَّفة؛ أنه لمَّا عليه السلام كان هو المنادي، فمن أتاها حاجًا فكأنه قد أتى إبراهيم عليه السلام؛ لأنه مجيبٌ نداءَه، مع ما فيه من تشريفه عليه السلام والتنويه به ما لا يخفى؛ لتوجيه الخطاب ﴿يَأْتُوكَ﴾ إليه عليه السلام(٢).

الحج (١٢١٨)، وفيه: فأهَلَّ [أي رسول الله ﷺ] بِالتَّوْحِيدِ «لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ».

(١) تفسير ابن كثير، (٥/ ٤١٣)، ثم ذكر ابن كثير ههنا، أنه استدل بهذه الآية كثيرٌ ممن قال: إن إبراهيم عليه السلام، هو أول من بنى البيت العتيق، وأنه لم يبن قبله، كما ثبت في صحيح البخاري، برقم: (٣٣٦٦)، عن أبي ذر قلت: يا رسول الله، أيُّ مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أي؟ قال: «بيت المقدس». قلت كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌۢ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الآية [آل عمران: ٩٦، ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]. انتهى كلامه رحمه الله تعالى، بتصرف يسير جدا. وفي المسألة قول آخر له معتَمدٌ قوي، مقابلٌ لهذا القول. ينظر: المحرر الوجيز، (١/ ٤٧٤)؛ ومفاتيح الغيب (٨/ ٢٩٥)؛ والبحر المحيط في التفسير (٣/ ٢٦٧).

(٢) التفسير البسيط (١٥/ ٣٥٨-٣٥٩)، بتصرف يسير؛ وينظر: زاد المسير، (٣/ ٢٣٣)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٣٨)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٠)؛ وروح المعاني

٦- يؤخذ من الخطاب في ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ﴾؛ الإشارة إلى أن إبراهيم عليه السلام، كان يحضر موسم الحج كل عام يُبلِّغ للناس التوحيدَ، كما نادى على جبل أبي قيس بجوار البيت الحرام: «إن الله كتب عليكم الحج فحجوا»[(١)]، وإلى أنه عليه السلام كان رحَّالة، فلعله كان ينادي في الناس في كل مكان يحل فيه، وذلك أقصى استطاعته في امتثال الأمر بالتأذين[(٢)].

٧- يؤخذ من الأمر في جملة ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾، بما فيه من مضاعفة الحروف، أنه مشعرٌ بتكرير الفعل، والإكثار من الإخبار، والمصدر منه التأذين، وهو رفع الصوت بالإعلام والإخبار[(٣)]، كما أن الحج في اللغة مستعملٌ في: «كثرة الاختلاف والتردد، تقول العرب: حج بنو فلان فلانا: إذا قصدوه وأطالوا الاختلاف إليه والتردد عليه»[(٤)]؛ ولهذا فإنه يؤخذ من هذه الجملة، إعلام وإعلان للناس بتكرَار وإكثار؛ ليكون منهم القصد لحج بيت الله الحرام؛ لأداء المناسك.

٨- وفي جملة ﴿يَأْتُوكَ﴾ الآية - وهي جواب للأمر- أن جُعِل التأذين سببا

(٩/ ١٣٧)؛ وأضواء البيان (٤/ ٢٩٨)، قال الشيخ الشنقيطي ههنا: «الخطاب في: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ لإبراهيم كما هو ظاهر من السياق. وهو قول الجمهور، خلافا لمن زعم أن الخطاب لنبينا صلى الله عليه وعلى إبراهيم وسلم... فقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾؛ أي: وأمرنا إبراهيم أن أذن في الناس بالحج؛ أي: أعلمهم، وناد فيهم بالحج؛ أي: بأن الله أوجب عليهم حج بيته الحرام».

(١) جاء هذا المعنى في أثر ابن عباس رضي الله عنه، وتقدم تخريجه قريبا بسياقه كاملا.

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٢)، بتصرف لا يضر.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٢).

(٤) أضواء البيان، (٤/ ٢٩٨).

للإتيان؛ تحقيقا لتيسير الله الحج على الناس، كما دل جواب الأمر ههنا على أن الله ضمن له استجابة ندائه[(١)]. أي: «إن تؤذن في الناس بالحج يأتوك»[(٢)].

٩- يؤخذ من الأمر بالتأذين ومن جوابه، أن إبراهيم عليه السلام قد فعل ما أُمِر به، ثم من بعده ابنه محمد ﷺ، فدعيا الناس إلى حج هذا البيت، وأبديا في ذلك وأعادا، وقد حصل ما وعد الله به، فأتاه الناس رجالا وركبانا من مشارق الأرض ومغاربها[(٣)].

١٠- وفي البدء بالآتين الحجَّ بذكر ﴿رِجَالًا﴾، أي: جمع راجِل، وهم المشاة؛ تشريفٌ لهم لزيادة تعبهم[(٤)].

١١- في التعبير بـ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾، أنه وصف يصدُق على كل ما اتصف بذلك من جمل أو ناقة وغير ذلك، كما أنه يستفاد من مجيء ﴿يَأْتِينَ﴾، وصفا لـ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾، أن ﴿يَأْتِينَ﴾ وصفٌ يتضمن معنى الجماعات من الإبل الضوامر، أو الجماعات من الرفاق[(٥)].

١٢- يؤخذ من التعبير بـ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ بهذا التركيب الإضافي، أنها رواحل كثيرة، لأن {كل} مستعمَلةٌ في الكثرة، وكأنما استدعى هذا السياقُ

---

(١) أضواء البيان، نفس الموضع، بتصرف لا يضر.

(٢) أضواء البيان (٤/ ٣٠٠).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٣٧)، بتصرف يسير.

(٤) ينظر: التفسير البسيط (١٥/ ٣٥٩)؛ والمحرر الوجيز (٤/ ١١٨)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٠)؛ وتفسير ابن كثير، (٥/ ٤١٤).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ١١٨)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٠).

ههنا؛ لأن الضمور – وهو وصف للرواحل التي أتعبها السفر، فصارت خفيفة البطون مهازيل- من محاسن الرواحل والخيل؛ لأنه يعينها على السير والحركة. فالضامر هنا بمنزلة الاسم، فكأنه ﷻ قال: وعلى كل راحلة[1].

١٣- ويؤخذ من جملة ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، أن سبب الضمور هو أثر طول السفر، وفيه الأجر بقدر التعب[2].

١٤- يؤخذ من إسناد الإتيان إلى الرواحل دون الناس، فلم يقل: يأتون؛ لأن الرواحل هي سبب إتيان الناس من بُعْد لمن لا يستطيع السفر على رجليه[3].

١٥- يستفاد من جملة ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، زيادةُ التعجيب من تيسير الحج حتى على المشاة، كما يدل على هذا أنه يشاهَدُ في طريق الحج جماعات بين مكة والمدينة يمشون رجالا بأولادهم وأزوادهم، وكذلك يقطعون المسافات بين مكة وبلادهم؛ ولهذه المعاني كان إسناد الإتيان إلى الرواحل تشريفا لها، بأن جعلها الله مشاركةً للحجيج في الإتيان إلى البيت[4].

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٤)، باختصار؛ وينظر: أضواء البيان (٤/ ٢٩٩). ويجوز في ﴿يَأْتِينَ﴾ أن يكون صفة لـ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ لأن لفظ (كل) صيره في معنى الجمع. وإذ هو جمع لما لا يعقل فحقه التأنيث. التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٥).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٣٨).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٥).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٥).

١٦- وفي التعبير بـ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ ههنا – وهو الشق بين جبلين تسير فيه الركاب-؛ لفتٌ إلى أن أكثر الطرق المؤدية إلى مكة تُسلَك بين الجبال، وفي وصفه بـ﴿عَمِيقٍ﴾ – وهو البعيد إلى أسفل- استعارة بتشبيه مكة بمكان مرتفع، والناس مصعدون إليه(١).

١٧- يؤخذ من هذه الآية، أنه ليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يَحِنُّ إلى رؤية الكعبة والطواف، فالناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار، وهذا كقوله تعالى إخبارا عن إبراهيم عليه السلام، حيث قال في دعائه: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٣٧](٢).

١٨-يؤخذ من مجيء واو العطف في ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ – وهي واو التقسيم التي بمعنى (أو) كقوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ [التحريم: ٥]- أنه يستفاد من العطف بها ههنا اعتبار التوزيع بين راجل وراكب؛ إذ الراكب لا يكون راجلا ولا العكس. ويستفاد من هذا استيعاب أحوال الآتين؛ تحقيقا للوعد بتيسير الإتيان المشار إليه بجعل إتيانهم جوابا للأمر، أي: يأتيك من لهم رواحل، ومن يمشون على أرجلهم. ولكون هذه الحال أغرب، قدم قوله: ﴿رِجَالٗا﴾، ثم ذكر بعده: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾؛ تكملة لتعميم الأحوال؛ إذ إتيان الناس لا يعدو أحد هذين الوصفين(٣).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٤)، بتصرف لا يضر.

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٤)، بتصرف يسير.

١٩- يستفاد من التعبير بـ ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ - أي: الركبان على ضُمَّر من طول السفر[١] - معطوفا على ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾، وكان مقتضَى السياق أن يقول: وركبانا، ولكن عُدِل عنه؛ الدلالةُ على كثرة الآتين من الأماكن البعيدة[٢].

٢٠- يؤخذ من قوله: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، أن الحج ماشيا لمن قدر عليه أفضل من الحج راكبا؛ لأنه قدمهم في الذكر، فدل على الاهتمام بهم وقوة هممهم وشدة عزمهم، ومع ذلك فإن الذي عليه الأكثرون أن الحج راكبا أفضل؛ اقتداء برسول الله ﷺ، فإنه حج راكبا مع كمال قوته عليه السلام[٣].

قال الله ﷻ وتقدست أسماؤه: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾[الحج: ٢٨]، لما أمر بالحج في قوله: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ الآية، ذكر حكمة ذلك ههنا في هذه الآية فقال: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾[٤].

ويؤكد شدةَ الارتباطِ الوثيق بين الآيتين؛ أن هذه الآية تعليلٌ لسابقتها،

---

(١) زاد المسير (٣/ ٢٣٣)، بتصرف يسير.
(٢) روح المعاني (٩/ ١٣٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٤)؛ وينظر: أضواء البيان (٤/ ٣٠٠).
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٠)؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٨).

متعلِّقةٌ بها؛ إذ اللام في ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ الآية، هي لام التعليل، متعلِّقةٌ هي وما خلت عليه بالآية السابقة: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾، أي: إن تؤذن فيهم يأتوك مشاة وركبانا، لأجل أن يحضروا منافع لهم[(١)].

الهدايات والفوائد من الآية الكريمة

١- يؤخذ من الآية أنه «لما كان الإنسان ميالًا إلى الفوائد، مستشرفًا إلى جميل العوائد، علَّل [الله ﷻ] الإتيانَ بما يرغبه مبيحًا من فضله ما يقصده من أمر المعاش فقال: ﴿لِّيَشْهَدُواْ﴾، أي: يحضروا حضورًا تامًا، ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾... دينية ودنيوية، فإنه كما جعل سبحانه تلك المواطنَ ماحيةً للذنوب، جالبة للقلوب، جعلها جالبة للفوائد، جارية على أحسن العوائد، سالمةً للفقر جابرةً للكسر»[(٢)].

٢- يستفاد من اللام أن بسبب شهود الحج يكون حصول هذه المنافع للحجاج، والصحيح أن منها منافع دنيوية كالذبائح والتجارة وكل كسب لا يضر بتأدية مناسك الحج، ومنها منافع دينية أخروية[(٣)]، فتعم المنافع الدنيوية والدينية الأخروية كذلك[(٤)].

---

(١) ينظر: أضواء البيان، (٥/ ١١٠-١١١)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٦).

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٨-٣٩).

(٣) ينظر: أضواء البيان، (٥/ ١١٠-١١١)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٦).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٢/ ٤١)؛ وروح المعاني (٩/ ١٣٨)؛ وأضواء البيان، (٥/ ١١٠-١١١)؛ وتفسير السعدي (ص: ٥٣٧)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٦).

٣- وفي تنكير ﴿مَنَٰفِعَ﴾ - وإن لم يكن فيها تنوين - ما يدل على تعظيمها وتكثيرها، فهي منافعُ عظيمةُ الخطرِ كثيرةُ العدد[(١)]. «وأعظم ذلك اجتماع أهلِ التوحيد في صعيد واحد ليتلقى بعضهم عن بعض ما به كمالُ إيمانِه»[(٢)].

٤- في تنكير ﴿مَنَٰفِعَ﴾ أيضا، أنه الله ﷻ «أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات»[(٣)].

٥- من أجل المنافع الدينية الأخروية لحضور المسجد الحرام لأداء المناسك، «تَلَقِّي عقيدة توحيد الله بطريق المشاهدة [للمسجد الحرام][(٤)] الذي أقيم لذلك حتى يرسخ معنى التوحيد في النفوس؛ لأن للنفوس ميلا إلى المحسوسات؛ ليتقوى الإدراك العقلي بمشاهدة المحسوس. فهذه أصل في سنة المؤثرات لأهل المقصد النافع»[(٥)].

٦- وفي هذه الآية الكريمة: أن الله ﷻ جعل الحرم المكي منسَكا لهذه الأمة تُراق فيه الدماء بنحر وذبح بهيمة الأنعام، ويُذكر عليها اسم الله عند تذكيتها، وأن ذلك لأجل تحقيق تقرب العباد إلى الله ﷻ بدمائها، وهو تقوى

---

(١) ينظر: روح المعاني (٩/ ١٣٨)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٦).

(٣) الكشاف (٣/ ١٥٢)؛ وينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢١). وعن أبي حنيفة يرحمه الله: أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج، فلما حجّ فضل الحج على العبادات كلها، لما شاهد من تلك الخصائص. ذكر هذا الزمخشري في: الكشاف (٣/ ١٥٢).

(٤) آثرتُ استبدال عبارة [للمسجد الحرام] بين المعكوفين بقول المؤلف "للهيكل"؛ مراعاةً لما هو أبعد لورود أي احتمال للإشكال.

(٥) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٢).

منهم، يصل إلى ربهم كما في قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ [الحج: ٣٧](١).

٧- ولما كانت المنافع في قوله تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ لا تطيب وتثمر إلا بالتقوى عُطِف عليها ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾ إلخ. وفي هذا أن ذكر الله تعالى هو الحامل على التقوى، وهو الجامع لجميع الكمالات بالتكبير وغيره عند الذبح وغيره، وللإعلام بأنه المقصود الذي يتبعه جميع المقاصد، وللإعلام بأنه ﷻ -بقدرته الكاملة، وقوته الشاملة -هو الذي جمع عباده قاصدي المسجد الحرام القاصي والداني في هذه المشاعر، فباسمه يُلبُّون، وعلى اسمه يذبحون، لا اسم شيء من الأصنام كما كانت الجاهلية تفعل(٢). «وكان الكفار يذبحون على أسماء أصنامهم، فبين الربُّ أن الواجب الذبح على اسم الله»(٣).

٨- مما يؤخذ من جملة ﴿لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾، أنه لما كانت بهيمة الأنعام، هي أجل أموالهم، لأجل كونها من مظاهر الرفاهية والخفض والدعة لهم؛ ناسب هذا حثهم على التقرب بها في مثل الضحايا، والهدايا(٤).

---

(١) ينظر: أضواء البيان، (٥/ ١١٤).

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (١٢/ ٤٢).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٩)، بتصرف لا يضر.

٩- يؤخذ من إطلاق ﴿بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ ههنا، أنه أي: هذا الإطلاق «مجمل في الواجبة والمتطوَّع بها»[(١)].

١٠- وفي الآية من الهدايات، أنه «كنى [الله ﷻ] عن النحر والذبح بذكر اسم الله؛ لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا. وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرّب به إلى الله أن يذكر اسمه، وقد حسن الكلام تحسينا بينا: أنْ جمع بين قوله: ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾، ولو قيل: لينحروا في أيام معلومات بهيمة الأنعام، لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة»[(٢)].

١١- وفي وصف أيام ههنا بمعلومات في قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾؛ إشعارٌ بأنها أول عشر في ذي الحجة الذي يوافق اسمه حقيقة مسماه، لا ما سموه باسم شهر ذي الحج من باب (النسيئة)[(٣)] من غير أن يوافق اسمه حقيقة مسماه، وفي هذا إشارة إلى أن المراد به الإكثار؛ إذ مطلق الذكر مندوب إليه في كل وقت، وفي التعبير بالعلم إشارة إلى وجوب استفراغ الجهد؛ لأجل القطع في تحرير أول شهر ذي الحجة، وللجزم بأنه هو اسم ومسمى[(٤)].

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٦).

(٢) الكشاف (٣/ ١٥٣)؛ وينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢١).

(٣) قال ابن عاشور في (التحرير والتنوير، ١٠/ ١٨٩): «والنسيء يُطلق على الشهر الحرام الذي أُرْجِئَتْ حرمته وجعلت لشهر آخر... والنسيء عند العرب تأخير يجعلونه لشهر حرام فيصيرونه حلالا ويحرمون شهرا آخر من الأشهر الحلال عوضا عنه في عامه».

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٣٨)، بتصرف لا يضر؛ وينظر: روح

وفي هذا، أن التزام المسلمين بعدة الشهور، وإقامة عباداتهم فيها كما أمرهم الله تعالى، يستتبع التزامهم بالتقويم الهجري القمري، وأن استقامتهم على ذلك، هو من الدين القيِّم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦].

١٢- وفي الأمر بالأكل من بهيمة الأنعام، وهو أمر إباحة، تعريضٌ بعادة أهل الجاهلية؛ إذ كانوا لا يأكلون من نسائكهم، ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع. ومن ثمة استحب الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيته مقدار الثلث[(١)].

١٣- وفي جملة ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ﴾؛ امتنانٌ «بأن الله رزقهم تلك الأنعام، وهذا تعريضٌ بطلب الشكر على هذا الرزق بالإخلاص لله في العبادة، وإطعام المحاويج من عباد الله من لحومها، وفي ذلك سدٌّ لحاجة

=

المعاني (٩/ ١٣٨). وهذا على قول أكثر العلماء بأن الأيام المعلومات ههنا، هي أول العشر من ذي الحجة، والمعدودات في آية سورة البقرة هي أيام التشريق. ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢١)؛ وروح المعاني (٩/ ١٣٨).

(١) الكشاف (٣/ ١٥٣)، بتصرف يسير؛ وينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٧)، وذكر ما حاصله: أن في الالتفات من ضمائر الغيبة إلى ضمير الخطاب في: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾؛ تعريضا بالرد على أهل الجاهلية إذ كانوا يمنعون الأكل من الهدايا.

الفقراء بتزويدهم ما يكفيهم لعامهم، ولذلك فرَّع عليه ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾»[1].

١٤- في جملة: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾، أن البائس: هو الذي أصابه البؤس، أي: ضيق المال، وهو الفقيرُ نفسُه، فهما وصفان لحقيقة واحدة؛ ولأجل هذا لم يعطف أحد الوصفين على الآخر؛ لأن الفقر بيانٌ للبائس، وإنما ذكر البائس مع أن الفقير مغن عنه؛ لترقيق أفئدة الناس على الفقير بتذكيرهم أنه في بؤس؛ لأن وصف فقير - لشيوع تداوله على الألسن - صار كاللقب، غير مشعر بمعنى الحاجة، وقد حصل من ذكر الوصفين التأكيد، فعلى هذا جاء ذكرُ الوصفين لقصد استيعاب أحوال المحتاجين والتنبيه إلى البحث عن الذي هو محتاجٌ في واقع الأمر[2].

١٥- يستفاد من الآية شروعٌ في بيان ما يتعلق بالإحلال بعد طول الإحرام بالحج، ومن أبرز مظاهر هذا: أعمال يوم النحر، ومنها: الهدايا والضحايا وما يُشرع في توزيعها. ثم في الآية التالية ما يتلو ذلك من قضاء التفث وطواف الحج، وهو الإفاضة، أحد أركان الحج.

قال الله ﷻ وتقدست أسماؤه: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ لم يزل السياق متصلا بما مرَّ، قريبا في بيان أعمال يوم النحر، ولكن عاد الأسلوب في هذه الآية ههنا إلى الغيبة على سبيل

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٦).
(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٧) باختصار.

الالتفات والتفنن في بلاغة نظم القرآن الكريم[(١)].

الهدايات والفوائد من الآية الكريمة

١- في جملة: (ثم ليقضوا تفثهم)، بيان ما بقي بعد نحر الضحايا والهدايا، من أعمال يوم النحر، كالحلق وإزالة الشعث ونحو ذلك، بعد طول الإحرام[(٢)].

٢- في التعبير بـ{التفث} -وهو ما يصنعه المحرم عند حله؛ من تقصير شعر وحلقه وإزالة شعث ونحوه من أمور الفطرة- ما يدل على قضاء جميع مناسكه؛ إذ لا يقضى التفث إلا بعد ذلك[(٣)].

٣- في جملة: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾، وصف لطبيعة الحالة التي يكون عليها الحجاج في أنهم يأتون الحجَّ شُعثا غُبرا، كما في الحديث أن الحجاج يأتوني شعثا غبرا، فيباهي الله بهم ملائكته يوم عرفة[(٤)]. وفي هذا أن شغلهم

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (١٢/ ٤٩)، بتصرف يسير.

(٣) المحرر الوجيز (٤/ ١١٩)، بتصرف يسير؛ وينظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٣/ ٢٨٤-٢٨٥)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢١). قال الزجاج في (معاني القرآن وإعرابه، ٣/ ٤٢٣): «والتفث في التفسير جاء، وأهل اللغة لا يعرفونه إلا من التفسير، قالوا: التفث الأخذ من الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبِطِ وحَلقُ العَانة والأخْذُ مِنَ الشعَرِ، كأَنَّه الخروج من الإحرام إلى الإحلال».
ومن هنا وصفها أهل اللغة بأنها «لفظة غريبةٌ عربيةٌ لم يجد أهلُ المعرفة فيها شعرا، ولا أحاطوا بها خبرا»، ولهذا اضطربت أقوال السلف في حقيقتها اللغوية، «وأما حقيقتها الشرعية فإذا نحر الحاج أو المعتمر هديه، وحلق رأسه، وأزال وسخه، وتطهر وتنقى، ولبس الثياب، فيقضي تفثه». (ما بين القوسين نص كلام ابن العربي المالكي في: أحكام القرآن، ٣/ ٢٨٤-٢٨٥).

(٤) تقدم مع تخريجه قريبا.

الشاغل وهمهم الأكبر في الإحرام بالحج وتأدية مناسكه، والإقبال منهم إلى ذلك بكلياتهم في تلبية ودعاء وخشوع وإخبات لله ﷻ، فكان جزاؤهم أن الله ﷻ يباهي بهم ملائكته يوم عرفة.

٤- يؤخذ من جملة: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾، وجوب إخراج النذر إن كان دما أو هديا أو غيره، ويدل ذلك على أن النذر لا يجوز أن يأكل منه وفاء بالنذر، وكذلك جزاء الصيد وفدية الأذى؛ لأن المطلوب أن يأتي به كاملا من غير نقص لحم ولا غيره، فإن أكل من ذلك كان عليه هدي كامل[(١)].

٥- في جملة: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾، أن طواف الإفاضة الذي هو أحد أركان الحج، من أعمال يوم النحر[(٢)].

٦- وفي ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟﴾ بصيغة التفعُّل حث على الإكثار من الطواف والاجتهاد فيه، وعلى الإخلاص بالإخفاء بحسب الطاقة[(٣)].

٧- دلت هذه الآية الكريمة، على لزوم طواف الإفاضة وأنه لا صحة للحج بدونه، كما دلت أيضا على لزوم الطواف من وراء الحِجْر الذي عليه الجدار القصير شمال البيت؛ لأن أصله من البيت، فهو داخل في اسم البيت العتيق[(٤)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (١٢/ ٤٥)، بتصرف يسير.

(٢) ينظر: جامع البيان (١٨/ ٦١٥)، قال: «لا خلاف بين المتأولين في ذلك»؛ والمحرر الوجيز (٤/ ١١٩)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٥١-٥٢).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٠).

(٤) أضواء البيان (٥/ ٢٥٣).

٨- يؤخذ من نعت البيت بأنه ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾، وصفٌ له بالقِدَم في الأولية، وقيل: وُصِف بذلك؛ لأن موضعه لم يُملَك قط؛ أو لأن الله ﷻ يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب؛ أو لأنه أُعتق من غرق الطوفان؛ أو لشرفه وكرمه وجودته؛ أو لأنَّ الله أعتقه من تسلط الجبابرة ونحوهم[(١)]، ولكلٍّ من هذه الأقوال وجه صحيح، ويحتملها اللفظ[(٢)]، حيث إنها جميعا تدور في فَلك معاني القِدَم والعتاقة، أي: النفاسة والأصالة. ومع ذلك فإنه يُستروحُ من السياق القرآني، أن (العتيق) ههنا هو القديم الأول، كما يدل هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦][(٣)].

٩- يستفاد من (الباء) في ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾، في وصف البيت بـ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾؛ الإشارةُ إلى استحقاقه للتعظيم بالقِدَم والعتق من كل سوء[(٤)].

١٠- يستفاد من دلالة حرف العطف {ثم} -الذي هو ههنا للتراخي الرتبي لا الزمني- في ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾؛ أن المعطوف به أهم في الغرض المسوق إليه الكلام من المعطوف عليه. وذلك ظاهر في مثل: الوفاء بالنذر والطواف بالبيت العتيق؛ إذ هما نسكان أهم من نحر الهدايا[(٥)].

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٨/ ٦١٤-٦١٥)؛ والكشاف (٣/ ١٥٣)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٥٢)؛ وتفسير أبي السعود (٦/ ١٠٤).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٨/ ٦١٥)؛ والمحرر الوجيز (٤/ ١١٩).

(٣) ينظر: أضواء البيان (٥/ ٢٥٣).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٠).

(٥) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٨) بتصرف لا يضر.

١١- «وفي هذه الآية دليل على أن النذر كان مشروعا في شريعة إبراهيم، وقد نذر عمر في الجاهلية اعتكاف ليلة بالمسجد الحرام، ووفَّى به بعد إسلامه كما في الحديث»[(١)].

١٢- يؤخذ من جملة ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾، أن ما التزم به المحرِم بالدخول في أعمال المناسك، وترك محظورات الإحرام؛ داخلٌ في عموم النذور المأمور بالوفاء بها ههنا[(٢)]، وكل «ما عسى يُنذِرونه [أي: الحجاج] من أعمال البر في حجهم»[(٣)]، فهو داخل في هذا دخولا أوليا، «فإن النذر كل ما لزم الإنسان أو التزمه»[(٤)].

قال الله جل وعلا وتقدست أسماؤه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾

وفي السياق نفسه تجيء الآيتان الكريمتان؛ لأن الحرمات المقصودةَ ها

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٠).

(٢) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٣)؛ وأحكام القرآن (٣/ ٢٨٥)؛ وزاد المسير (٣/ ٢٣٤)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٢).

(٣) الكشاف (٣/ ١٥٣)؛ وينظر: زاد المسير (٣/ ٢٣٤)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٢)، قال: «فإن الرجل إذا حج أو اعتمر فقد يوجب على نفسه من الهدي وغيره ما لولا إيجابه لم يكن الحج يقتضيه فأمر الله تعالى بالوفاء بذلك».

(٤) أحكام القرآن (٣/ ٢٨٥).

هنا المرغَّبَ في تعظيمها تحريضا، وتحريصا، هي نفس أعمال الحج المشار إليها في قوله تعالى الآنف: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾، ويدخل في ذلك تعظيم المواضع لهذه الحرمات، ثم إن لفظ الآية بعد ذلك يتناول كل حرمة لله تعالى في جميع الشرع[(١)].

الهدايات والفوائد من الآيتين الكريمتين:

١- أُوثر في الآية اسمُ إشارة البعيد {ذلك}؛ للدلالة على بعد المنزلة كناية عن تعظيم مضمون ما قبل ذلك. فالإشارة مراد بها التنبيه، وهو من أساليب الاقتضاب في الانتقال[(٢)].

٢- وفي اسم إشارة البعيد {ذلك} أيضا، لفتٌ إلى تعظيم الحج وأفعاله، بأنه الأمر الجليل العظيم الكبير المنافع دنيا وأخرى[(٣)].

٣- في التنويه بتعظيم ﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾، ندبٌ إلى المبادرة بالامتثال بالمأمورات، فإن لها حرمة الامتثال؛ وزجرٌ عن الانتهاء عن المنهيات، فإن لها حرمة الانكفاف والانزجار[(٤)].

٤- يؤخذ من التعبير بـ﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ - وهي: ما لا يحلُّ هتكُه، مع احتمال دخول عموم التكاليف فيها[(٥)] -؛ أنه لا يخفى أن خصوصيتها - في هذا

---

(١) المحرر الوجيز (٤/ ١٢٠)، بتصرف يسير.
(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥١)، بتصرف لا يضر.
(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٠)
(٤) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي، (٣/ ٢٨٦).
(٥) الكشاف (٣/ ١٥٤)، بتصرف لا يضر.

السياق - بما يتعلق بالحج ومناسكه، هو من باب الأولى المتبادَر، ولكنَّ ذلك ليس بمانع من الحمْل على العموم، وعليه؛ ففي الآية تحريضٌ وتحريصٌ على تعظيم مواضع هذه الحرمات، فهي المشاعر المقدسة، فتدخل في المندوب إلى تعظيمه دخولا أوليا، ثم إن لفظ الآية بعد ذلك يتناول كل حرمة لله تعالى في جميع الشرع[1].

٥- في جملة: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ - أي: فالتعظيم لحرمات الله خيرٌ له-، أن معنى التعظيم يقتضي العلمَ بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بحقوقها[2]، وأن التعظيم لحرمات الله خيرٌ لمن فعله، حيث اختصه الله به وهداه ووفقه إليه، فهو موعود بأجرٍ عظيمٍ مدّخَرٍ له ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾. فعلى من وُفِّق لهذا، أن يشكر الله تعالى؛ لأن ذلك التعظيم لحرمات الله يدل على تقوى قلب فاعلِه؛ ولأن في تعظيمها إجلالَ الله سبحانه، والانقيادَ له بالطاعة والامتثال[3].

٦- في جملة: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾؛ عودٌ إلى بعض ما يُشرع في الحج[4]؛ ولأجل رفع إيهام، «أن يُظَن أن الإحرام إذا حرَّم الصيدَ

(١) المحرر الوجيز (٤/ ١٢٠)، بتصرف يسير؛ وينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٢).
(٢) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٤).
(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٢). فائدة: قال ابن عطية في (المحرر الوجيز، (٤/ ١٢٠): «وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ﴾، ظاهره أنها ليست للتفضيل وإنما هي عدة بخير، ويحتمل أن يجعل ﴿خَيْرٌ﴾ للتفضيل على تجوز في هذا الموضع».
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، (٢٣/ ٢٢٢).

وغيره، فالأنعام أيضا تَحرُم، فبين الله تعالى أن الإحرام لا يؤثر فيها فهي محلَّلَةٌ، واستثنى منه ما يُتلى في كتاب الله من المحرمات من النعم وهو المذكور في سورة المائدة»[(١)]، في الآيات الثلاثة من أولها[(٢)].

٧- في جملة: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾؛ «أنه سبحانه لما حث على تعظيم حرماته وحمد من يعظمها؛ أتبعه بالأمر باجتناب الأوثان وقول الزور؛ لأن توحيد الله تعالى وصدق القول أعظم الخيرات، وإنما جمع الشرك وقول الزور في سلك واحد؛ لأن الشرك من باب الزور، لأن المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة، فكأنه قال: فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور، واجتنبوا قول الزور كله، ولا تقربوا منه شيئا لتماديه في القبح والسماجة، وما ظنك بشيء من قبيلِه عبادةُ الأوثان»[(٣)].

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٢)؛ وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٠).

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ١-٣].

(٣) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٣)؛ وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٢-٤٣)؛ وأضواء البيان (٥/ ٢٥٥). وذكر يرحمه الله ههنا ما مفاده: أن إطلاق الزور في الآية يعم كل

٨- وفي تسمية الأوثان رجسا؛ لأنَّ وجوب تجنبها أوكد من وجوب تجنب الرجس؛ ولأن عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات، أو إنما جاء وصفها كذلك استحقارا واستخفافا، أي: وليس وصفها بذلك لنجاستها[(١)].

٩- وفيها وصفُ الأوثان بأنها رجس تعافه النفوس، أي: نجسةٌ حُكما، فلا تُزال نجاستها إلا بالإيمان، كما لا تُزال النجاسة في الأعضاء إلا بالطهارة بالماء[(٢)]. ويدخل في حكمه الأوثان، ومعناها عبادةُ كلِّ معبود من دون الله كائنا من كان، كما جاء مبيَّنا في مواضع من كتاب الله[(٣)].

١٠- في وصف الأوثان بالرجس، أنها رجس معنوي؛ لكون اعتقاد إلهيتها في النفوس بمنزلة تعلق الخبث بالأجساد فإطلاق الرجس عليها تشبيه بليغ[(٤)].

١١- يستفاد من مجيء {مِنْ} - التي هي لبيان الرجس وتمييزه- في ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾؛ أن الرجس لِما فيه من الإبهام يتناول كل شيء، فكأن المراد هو الأمر

ميل عن الحق وكل كذب وباطل، فهو في الآية جاء بصيغة عامة، ولكن جاءت بعض أفراده في مواضع من كتاب الله تعالى.

(١) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٣)، بتصرف يسير؛ وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٢-٤٣)؛ وأضواء البيان (٥/ ٢٥٥). وذكر يرحمه الله ههنا ما مفاده: أن إطلاق الزور في الآية يعم كل ميل عن الحق وكل كذب وباطل، فهو في الآية جاء بصيغة عامة، ولكن جاءت بعض أفراده في مواضع من كتاب الله تعالى.

(٢) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي، (٣/ ٢٨٦)؛ وأضواء البيان (٥/ ٢٥٤).

(٣) أضواء البيان (٥/ ٢٥٥)، بتصرف يسير.

(٤) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٣).

باجتناب الرجس الذي هو الأوثان، وليس المراد أن بعضها ليس كذلك[(١)].

١٢- وفي جملة: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ﴾ - مع دلالة السياق في مقابلة حالة بضدها -؛ تأكيدٌ للزوم جادّةِ الإخلاص، وأن لا يُسلَكَ غير مسالكِه، «فكأنه قال تمسكوا بهذه الأمور التي أَمَرْتُ وَنَهَيْتُ على وجه العبادة لله وحده، لا على وجه إشراك غير الله به؛ ولذلك قال: ﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ﴾، وهذا يدل على أن الواجب على المكلف أن ينوي بما يأتيه من العبادة الإخلاص»[(٢)]؛ ولأجل تقرير هذا المعنى جاء: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ حالا من ضمير ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ﴾؛ أنهم إن اجتنبوا ذلك حال كونهم ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾؛ يكونوا على ملة إبراهيم حقا في الحنيفية والإخلاص؛ ولذلك زاد معنى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ بيانا بقوله: ﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ﴾، بالباء التي للمصاحبة والمعية، أي: غير مشركين معه غيره البتة[(٣)].

١٣- وفيما أحل الله من بهيمة الأنعام ههنا غير ما هو مستثنىً في: ﴿وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾؛ تعريضٌ بالكفار وإبطالٌ لما حرموه من الأنعام: كالبحيرة

(١) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٣) باختصار؛ وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٢-٤٣)؛ وأضواء البيان (٥/ ٢٥٥)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٤)، قال: «و (من) في قوله: ﴿مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ بيان لمجمل الرجس، فهي تدخل على بعض أسماء التمييز بيانا للمراد من الرجس هنا، لا أن معنى ذلك أن الرجس هو عين الأوثان بل الرجس أعم أريد به هنا بعض أنواعه فهذا تحقيق معنى (من) البيانية».

(٢) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٣)؛ وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٣)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٤).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٤).

ونحوها، مما فيه افتراء الكذب وقول الزور على الله ﷻ، في التحليل والتحريم، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦][1].

١٤- «وجيء بالمضارع في قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ ليشمل ما نزل من القرآن في ذلك مما سبق نزول سورة الحج بأنه تُلِي فيما مضى ولم يزل يُتلى، ويشمل ما عسى أن ينزل من بعد مثل قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]»[2].

١٥- «الأمر باجتناب الأوثان مستعمل في طلب الدوام كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]»[3].

١٦- فيها أن من أفراد الزور، اتباعَ الأوثان التي هي السبب في افتراء الكذب على الله، مما يستتبُع جملةً من المنكرات والضلالات، وأعظمها الشرك بالله، وتحريم أو تحليل ما لم ينزل الله به سلطانًا، فجاء الزجرُ من الله سبحانه باجتناب اتباع الأوثان التي هي من أفراد الزور، بل أتبعه ﷻ بالزجر عن

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٢)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٢-٢٥٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٣).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٣).

اتباع جميع الزور، وزاد في تبشيعه وتغليظه أنْ قرنه بالشرك في قوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾، أي: جميعه بكل أنواعه، وبكل ميل إليه، بما يشمل كل إلحاد وانحراف وزيغ وفسوق وعصيان، وإعراض عن هُدى الله ﷻ[1].

١٧- في هذا التشبيه: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾؛ أن الإشراك بالله إهلاكٌ للنفس بلغ من الفظاعة مبلغا ليس بعده نهاية، كما يستفادُ مِنْ تشبيه مَنْ يشرك بالله بصورة الذي يهوِي ساقطا من السماء فتتخطَّفُه الطير، فيتفرق مزعا [لعله: مَزِعًا] في حواصلها، أو تعصف به الريح فترمي به مُفرَّقا مُبعَدا في كلِّ مذهب بعيد في الآفاق، كما يتضمن هذا التشبيه أيضا تشبيه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكارَه بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوّح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلِفة[2]. قال ابن عاشور: «أعقب [الله ﷻ وتقدست أسماؤه] نهيَهم عن الأوثان بتمثيل فظاعة حال من يشرك بالله في مصيره بالشرك إلى حال انحطاط وتلقف الضلالات إياه ويأسِه من النجاة ما دام مشركا؛ تمثيلا بديعا إذ كان من قبيل التمثيل القابل لتفريق أجزائه إلى

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٢-٤٣).

(٢) الكشاف (٣/ ١٥٥) باختصار؛ وينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٣)؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٣)؛ والتحرير والتنوير، (١٧/ ٢٥٤)

تشبيهات»[(١)].

١٨- وفي هذا التشبيه أسلوبٌ عجيب في تمثيل الأحوال، ولعلّه من الأساليب التي وصفها ابن عاشور بأنها: من مبتكرات القرآن الكريم التي تميز بها نظمه عن بقية كلام العرب[(٢)].

١٩- يؤخذ من عطف جملة: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إلخ، على جملة: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [آية: ٢٦]؛ انتقالٌ من غرض إلى غرض، ومن مخاطَب إلى مخاطب آخر. وهو انتقال إلى بيان ما يجب الحفاظ عليه من الحنيفية والتنبيه إلى أن الإسلام بُني على أساسها. والكلام موجه إلى المسلمين تنبيها لهم على أن تلك الحرمات لم يعطل الإسلام حرمتها؛ لأن المسلمين كانوا يعتمرون ويحجون قبل إيجاب الحج عليهم، أي: قبل فتح مكة[(٣)].

٢٠- في الآيتين أن لكل اتباعٍ للشرك، أو ميلٍ وانحرافٍ عن دين الله الحق المستقيم؛ مستتبعاتٍ خطيرةً بعضها آخذ في رقاب بعض، منها الكذب على الله ﷻ، بمثل تحريم ما أحلَّ، وتحليل ما حرّم، وابتغاء الفتنة بالمؤمنين، وتزوير معالم الدين ونقض لأسس الملة، وضرب الشريعة بعضها ببعض، والتنكُّر للثوابت الأصول.

---

(١) التحرير والتنوير، (١٧/ ٢٥٤).

(٢) ينظر القول في مبتكرات القرآن عند ابن عاشور رحمه الله، في: التحرير والتنوير (١/ ١٢٠).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٢)، بتصرف يسير.

قال الله ﷻ وتقدست أسماؤه:

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج: ٣٢- ٣٣]

مناسبة الآية لما قبلها، أن فيها تأكدا لما تقدم عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[1].

الهدايات والفوائد من الآيتين الكريمتين:

١- في آية: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ الآية، تأكيد لما تقدم من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[2]؛ ولكن «مضمون جملة: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ إلخ، أخص من مضمون جملة: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٠] وذكر الأخص بعد الأعم للاهتمام»[3].

٢- فيها – على أن المراد بـ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ الهديُ خصوصا- أن تعظيمها من معالم الحج، فيكون باختيارها عظامَ الأجرام حسانا سمانا، غاليةَ الأثمان ويترك المِكاس[4] في شرائها، مع اعتقاد أن طاعة الله في إهدائها إلى بيته الحرام

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٣)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٦).
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٣).
(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٦).
(٤) في القاموس المحيط، مادة: (عكس): «عِكاسٌ ومِكَاسٌ، بكسرهِمَا: وهو أن تأْخُذَ بناصِيَتِهِ ويأْخُذَ بِنَاصِيَتِكَ، أو هو إتْباعٌ». قلتُ: وهو هنا المشاحة في البيع.

تقرُّبا إلى الله ﷻ؛ شأنٌ جللٌ ينبغي امتثاله والمسارعة إليه[(١)]؛ فإن ذلك «﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ أي إن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب...» وإنما ذُكرت القلوبُ؛ لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت، ظهر أثرها في سائر الأعضاء»[(٢)]؛ ولأن «المنافق قد يظهر التقوى من نفسه، ولكن لما كان قلبه خاليا عنها لا جرم لا يكون مجدا في أداء الطاعات، أما المخلص الذي تكون التقوى متمكنة في قلبه، فإنه يبالغ في أداء الطاعات على سبيل الإخلاص»[(٣)].

والمراد أن التقوى تتمكن في القلب بسبب تعظيم الشعائر، فإن تعظيمها من تقوى القلوب؛ ولهذا حسُنَ إضافة تقوى إلى القلوب؛ لأن تعظيم الشعائر اعتقاد قلبي ينشأ عنه العمل[(٤)]. وعلى أن المراد بـ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ عمومها، ففيها أن تعظيمها عام في جميع شعائر الله، ويدخل في هذا العموم قطعا أفراده، مثل: البدن، والصفا والمروة، وجميع معالم ومشاعر الحج[(٥)]. «فالمعظم لها يُبرهِن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله»[(٦)].

---

(١) **ينظر:** الكشاف (٣/ ١٥٦)؛ والمحرر الوجيز (٤/ ١٢١)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٣-٢٢٥)؛ ونظم الدرر في تناسب الآي والسور (١٣/ ٤٥)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٦).

(٢) الكشاف (٣/ ١٥٦-١٥٧)؛ **وينظر:** أحكام القرآن (٣/ ٢٨٨)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٤)؛ ونظم الدرر في تناسب الآي والسور (١٣/ ٤٥).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٤)؛ **وينظر:** نظم الدرر في تناسب الآي والسور (١٣/ ٤٥).

(٤) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٧)، بتصرف يسير.

(٥) **ينظر:** أضواء البيان، (٥/ ٢٥٧-٢٥٨)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٦)؛ وتفسير السعدي، (ص: ٥٣٨).

(٦) تفسير السعدي، (ص: ٥٣٨).

٣- في آية: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾، كثرةُ المنافع التي في الهدايا في الدنيا والدين، ولكن لا يعتدُّ الله ﷻ إلا بالمنافع الدينية من ذلك، كما في قوله ﷻ: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧][(١)].

٤- وفيها أن «جعل المنافع فيها يقتضي أنها انتفاع بخصائصها مما يراد من نوعها قبل أن تكون هديا»[(٢)].

٥- وفيها «تشريعٌ لإباحة الانتفاع بالهدايا انتفاعا لا يتلفها، وهو رد على المشركين؛ إذ كانوا إذا قلدوا الهدي وأشعروه حظروا الانتفاع به من ركوبه وحمل عليه وشرب لبنه، وغير ذلك»[(٣)].

٦- في جملة: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾، أنه شُرِع التقرب بالهدايا تكمِلةً لشرع الحج، وأنها من مظاهر تعظيم الكعبة، وإن كانت لا تُنحر فيها، بل

---

(١) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٧)؛ وأحكام القرآن، لابن العربي (٣/ ٢٨٨-٢٨٩). وذكر يرحمه الله تعالى أنه لم يُختَلَف في أن (الشعائر) هي المعالم؛ ولكن اختُلِف في المراد بها في الشرع، فقيل: هي الهدايا، والبدْن، وقيل غير ذلك، قال: «والصحيح أنها جميع مناسك الحج»، ومنها: الهدايا والبدْن، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحج: ٣٦]، قال: «وهذا نص في أنها بعض الشعائر»؛ والمحرر الوجيز (٤/ ١٢١)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٤)، وذكر أن قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ لا يليق إلا بأن تحمل الشعائر على الهدي الذي فيه منافع إلى وقت النحر، وهو قول جمهور المفسرين، قال: «ولا شك أنه أقرب».

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٧).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٨).

تُنحَر في المناحِر وفجاج مكة؛ إلا أنها تابعةٌ للكعبة، كما في قوله تعالى: ﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥][(١)].

٧- كما أن {ثُمَّ} في جملة: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾، هي في الأصل للتراخي الزمني، إلا أنها ههنا مستعارةٌ مستعملةٌ للتراخي في الأحوال أيضا، بما يستفاد منه، أنه إنما يعتد الله من تلك المنافع الكثيرة، بالدينية منها، وأعظمها وأبعدها شوطا في النفع: ﴿مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ﴾ أي: وجوب نحر الهدايا في الحرم، الذي هو في حكم البيت، وهو حريم البيت كذلك[(٢)].

قال الله ﷻ وتقدست أسماؤه:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج: ٣٤- ٣٥]

لـمَّا ذكر الله ﷻ ما جعل لهذه الأمة من مناسك، ومنها الهدايا، وأن تعظيمها من تعظيمه ﷻ؛ عطف على هذا قوله ههنا: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا﴾ أي: كما جعل الله لكم ذلك، جعله لكل أمة من الأمم السالفة على

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٧).
(٢) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٧).

وجه التقرّب إليه ﷻ[1].

الهدايات والفوائد من الآيتين الكريمتين

١- في جملة: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ إلخ، أن الله شرع لكل أمة من الأمم السالفة من عهد إبراهيم عليه السلام إلى من بعده ضربا من القُربان؛ لأجل أن يذكروا اسمه ﷻ وتقدست أسماؤه على المناسك، بما فيه تحقيقٌ للتوحيد الخالص من شوائب الشرك، وفيه هذا ما لا يخفى من التعريض لما كانت العرب تذبحه لأصنامهم، ومنه ما يسمونه بالعتر والعتيرة[2].

٢- كما يستفاد من جملة: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ إلخ، أن المقصود منها في هذا السياق، الرد على المشركين؛ إذ جعلوا لأصنامهم مناسك تشابه مناسك الحج، وجعلوا لها مواقيت ومذابح، فذكرهم الله تعالى بأنه ما جعل لكل أمة إلا منسكا واحدا للقربان إلى الله تعالى، كما جاء التنكير في ﴿مَنسَكًا ﴾ للإفراد، أي واحدا لا متعددا، ومحل الفائدة هو إسناد الجعل إلى ضمير الجلالة ﷻ[3].

٣- يؤخذ من التفات الخبر عن الأمم السابقة إلى خطاب الحاضرين في جملة: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾، توجيه خطاب لجميع الأمم، أي:

---

(١) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٧)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٥)؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٦).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٥).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٩)، باختصار.

فالإله واحد لجميعكم أيتها الأمم، فكما يجب الإخلاص له وحده، فكذلك يجب أن تخلص له الذبائح، فلا يُذبح لغيره من الأنداد والشركاء[١].

٤- وفي تقديم الجار والمجرور في: ﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۚ﴾، تأكيدُ حصر الإخلاص لله ﷻ وحده، خالصا سالما من أيِّ إشراك[٢]. «أي أخلصوا له الذكر خاصة بحيث لا يشوبه إشراك البتة، والمراد الانقياد لله تعالى في جميع تكاليفه، ومن انقاد له كان مخبتا؛ فلذلك قال بعده: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾»[٣].

٥- في جملة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ إلخ، تشريفٌ لهم وتنويهٌ بمكانتهم العليا عند الله ﷻ، وأنهم مبَشَّرون بثواب من الله عظيم وجنة عرضها السماوات والأرض[٤]. وفي وصفهم بـ﴿ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ «مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين»[٥].

٦- في الآية استعمال الـمُخْبِت للمتواضع على سبيل الاستعارة؛ لأن أصل الـمُخْبِت من سلك الخبْتَ، وهو المكان المنخفض ضد المصعد، فكأن المتواضع سلك نفسه في الانخفاض، وتلك سمة المؤمنين؛ لأن التواضع من شيمهم كما كان التكبر من سمات المشركين، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر: ٣٥][٦].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٢١)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٥).
(٢) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٧)؛ والمحرر الوجيز (٤/ ١٢١)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٥).
(٣) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٥).
(٤) ينظر: أضواء البيان (٥/ ٢٥٨).
(٥) المحرر الوجيز (٤/ ١٢٢).
(٦) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٠-٢٦١).

٧- جاءت بعد صفة ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ أربع صفات مناسبة ملائمة للوصف بالإخبات، مما يدل على أن هذه الصفات هي مظاهر للتواضع، فمن تعذر عليه جمعها، لم يخل بواحدة منها عند إمكانها(١).

٨- يؤخذ من الجمع في الآية بين الثناء عليهم بالوجل الذي هو الخوف عند ذكر الله ﷻ، مع الثناء عليهم بالطمأنينة بذكره ﷻ؛ قوة يقينهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه خشية منه ﷻ، ورغبة ورجاءً فيما عنده جل وعلا(٢). وأيضا فإن «الطمأنينة بذكر الله تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد، وصدق ما جاء به الرسول ﷺ فطمأنينتهم بذلك قوية؛ لأنها لم تتطرقها الشكوك، ولا الشبه، والوجل عند ذكر الله تعالى يكون بسبب خوف الزيغ عن الهدى، وعدم تقبل الأعمال، كما قال تعالى عن الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]»(٣).

٩- في جملة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، أن الإنفاق على المحتاجين الضعفاء من المؤمنين؛ هو دأب المخبتين باستمرار، بخلاف المتكبرين، فإن دأبهم هو الإنفاق بسخاء على الأصحاب والندماء؛ للتباهي والتفاخر، في مثل

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٦١).
(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٢٢)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٥).
(٣) أضواء البيان (٥/ ٢٥٩).

مجالس الشراب والميسر واللهو، ونحو ذلك مما هو بمعْزِلٍ عن ابتغاء مرضاة الله[(١)]. ولكل امرئ ما نوى!

١٠- يؤخذ منها أن للوَجَل أثرين أحدهما: الصبر على المكاره، من المصائب والأقدار، والأذى في سبيل الله، كما في: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾، فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل إن أمكن دفعه، لزم دفعه ولو بالمقاتلة، والثاني: الاشتغال بالخدمة بالنفس، كما في: ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾، وبالمال كذلك، كما في: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[(٢)].

١١- يؤخذ من التنويه بهم في جملة: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾، كون الصبر عادةً راسخة فيهم؛ ولأنه وصف مناسبٌ لأحوال الحج، في كونه مظنةً لكثرة الخلطة الموجبة لكثرة الأنكاد ولا سيما وقد كان أكثر المخالطين مشركين، عند نزول سورة، وهي مكية[(٣)].

١٢- في جملة: ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾، تنويهٌ بهم لاتصافهم بهذا الوصف، مهما حصل لهم من المشاق بأفعال الحج وغيره ما عسى أن يحصل، ولذلك عبر بالوصف دون الفعل إشارة إلى أنه لا يقيمها على الوجه المشروع مع تلك المشاق والشواغل إلا الأراسخ في حبها، فهم - لِما تمكن من حبها في قلوبهم

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٦١).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٥).

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٨). تقدم ما يتعلق بمكية أو مدنية السورة، وما هو الاختيار في ذلك، في المطلب الثاني من المبحث الأول، من هذا البحث.

والخوف من الغفلة عنها - كأنهم دائمًا في صلاة[1].

١٣- في جملة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، ترغيبٌ للمؤمنين في أن يجددوا العزم على النفقة في الحج باستمرار؛ إذ كان مظنةً لزيادة في نفقات ربما تُقعدهم عنه، ومن هذه النفقات الهدايا التي نُدبوا إلى المغالاة في أثمانها، وأن تكون حِسانا سِمانا؛ للإحسان إلى خلق الله، امتثالًا لأمره ﷻ[2].

قال الله ﷻ وتقدست أسماؤه:

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: ٣٦- ٣٧]

مناسبة الآيتين لما قبلها، أنه «لما قدم سبحانه الحث على التقرب بالأنعام كلها، وكانت الإبل أعظمها خلقًا، وأجلها في أنفسهم أمرًا؛ خصها بالذكر في سياق تكون فيه مذكورة مرتين معبراً بالاسم الدال على عظمها، أو أنه خصها لأنه خص العرب بها دون الأمم الماضية...»[3].

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٩) بتصرف يسير.
(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٩).
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٩).

الهدايات والفوائد من الآيتين الكريمتين

١- في تقديم البدن على عامله في جملة: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾؛ اهتمامٌ بها تنويها بشأنها. والاقتصار على البدن الخاص بالإبل؛ لأنها أفضل في الهدي لكثرة لحمها، وقد ألحقت بها البقر والغنم بدليل السنة[(١)].

٢- يؤخذ من جملة: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾، تنويهٌ بالبدن وما في معناها من الهدايا والأضاحي، حيث جعلها الله ﷻ من أعلام الشريعة التي شرعها الله، وفي إضافتها إلى اسمه ﷻ تعظيم لها[(٢)].

٣- وفي جملة: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾، أن الله ﷻ جعل البدن وما في معناها شعائر، أي: معالم تؤذن بالحج وجعل لها حرمة. وهذا وجه تسميتهم وضعَ العلامة التي يُعلَم بها بعير الهدي في جلده إشعارا، بطعن في سنامه، فالإشعار إعداد للنحر. وقد عدها الله ﷻ في جملة الحرمات في قوله: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ [المائدة: ٢]، وتقديم {لكم} على المبتدأ ليتأتى كون المبتدأ نكرة ليفيد تنوينه التعظيم[(٣)].

٤- فيها: أن {البدن} -وهي الواحدة من الإبل-، سميت بذلك من البدانة وهي السمن، يقال: بدن الرجل بضم العين: إذا سمن، وبدن بتشديدها: إذا كبر وأسن، وإنما سماها بصفتها لينبه بذلك على اختيارها، وتعيين الأفضل

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٣) بتصرف يسير.

(٢) الكشاف (٣/ ١٥٨)، بتصرف يسير.

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٣) بتصرف يسير.

منها؛ فإن الله أحق ما اختير له[(١)].

٥- في جملة: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ - وهي كجملة: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ في الآية السابقة؛ ترغيبٌ في أن من شأن الحاج أن يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله[(٢)]. وفي هذا، أنه «ما أخلقَ العاقلَ بالحرص على شيء شهد الله تعالى بأن فيه خيرا وبأن فيه منافع»[(٣)].

٦- كذلك في جملة: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾، أن في ابتغاء الأجر والثواب من البدن التي أُعدّت للهدايات والضحايا، وما في معناها خيرٌ مطلقا، وأما غيرها فهو خيرٌ إذا قوَّى على طاعة الله[(٤)].

٧- وفي ذكر اسم الله في جملة: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾، أنه صار كنايةً عن النحر والذبح، لِما تقرر من أنه شرط فيهما وأصل معهما[(٥)].

٨- وفي انتصاب ﴿صَوَافَّ﴾ على الحال من الضمير المجرور في قوله {عليها}، أن فائدة هذه الحال ذكر محاسن من مشاهد البدن فإن إيقاف الناس بدنهم للنحر مجتمعة ومنتظمة غير متفرقة مما يزيد هيئتها جلالا. وقريب منه

---

(١) أحكام القرآن، لابن العربي (٣/ ٢٨٩ -٢٩١) بتصرف يسير.

(٢) الكشاف (٣/ ١٥٨)، بتصرف يسير؛ وينظر: أحكام القرآن لابن العربي(٣/ ٢٩١)؛ ومفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٦)؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٥٠).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٦).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي(٣/ ٢٩١) بتصرف يسير.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي(٣/ ٢٩٢) بتصرف يسير.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤][(١)]. «ولا يبعد أن تكون الحكمة في إصفافها ظهور كثرتها للناظرين، فتقوى نفوس المحتاجين، ويكون التقرب بنحرها عند ذلك أعظم أجرا، وأقرب إلى ظهور التكبير، وإعلاء اسم الله وشعائر دينه»[(٢)].

٩- يؤخذ من جملة: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾، أنه لا تسلخ ولا يُنال منها[(٣)]، ولا يجوز الأكل منها وما في معناها إذا نُحرت حتى تموت وتبرد حركتها، حتى لا تُرى بها أية حركة أصلا[(٤)].

١٠- يؤخذ من التوقيت في جملة: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا﴾، بعد خروج روحها، أن «القصد من هذا التوقيت، المبادرة بالانتفاع بها؛ إسراعا إلى الخير الحاصل من ذلك في الدنيا؛ بإطعام الفقراء، وأكل أصحابها منها، فإنه يستحب أن يكون فطور الحاج يوم النحر من هديه، وكذلك الخير الحاصل من ثواب الآخرة»[(٥)].

١١- يؤخذ من الأمر في قوله سبحانه تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ -وإن كان مجملا-، إبطال ما كان عند أهل الجاهلية، من تحريم أكل المُهْدي من لحوم

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٤).
(٢) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٦).
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٥١) بتصرف يسير.
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٢٨).
(٥) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٤).

هديه[(١)]. ففيه ندبٌ وأجرٌ في امتثال الأكل من الهدي لذلك[(٢)].

١٢- وفي الأمر بإطعام ﴿ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾، ندبٌ إلى إطعام المحتاجين، سواء كانوا ممن يسألون الناس، أو ممن لا يسألونهم إلحافا؛ لما فيه من الاهتمام المتأكَّد في سدَّ حاجاتهم وإعفافهم[(٣)].

١٣- يؤخذ من جملة: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، امتنانٌ من الله ﷻ على عباده، أنْ سخر لهم هذه البدن وما في معناها، بما يحملهم على امتثال ما ندبهم إليه من شكره بالتَّقرُّب، وصرف جميع معاني الحمد والإخلاصِ له وحده ﷻ[(٤)].

١٤- وفي التعبير بـ{البدن}، أنه مع كونها أعظم وأقوى إلا أنها هي المُسخَّرَة، ويستفاد من هذا أن يعلم العبد أن الأمور ليست على ما يظهر له من تدبيره، بل بتدبير الله العزيز القدير القاهر فوق عباده[(٥)].

١٥- في جملة: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾، تأكيدٌ على أهمية تصحيح النية، وصدق الإخلاص فيما يُتقرب به من الهدايا

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٤) باختصار.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٢٣).

(٣) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٨)؛ وتفسير أبي السعود (٦/ ١٠٧)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٥)؛ وأضواء البيان (٥/ ٢٥٩-٢٥٦).

(٤) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٨)؛ وتفسير أبي السعود (٦/ ١٠٧)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٦).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي، (٣/ ٢٩٨-٢٩٩) باختصار؛ وينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٧)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٦)؛ وأضواء البيان، (٥/ ٢٦٠).

والضحايا، فإن الله ﷻ لا يُرضيه من ذلك إلا ما كان مُرادا به ثوابه ﷻ خالصا لوجهه الكريم، مُحتفّا بشروط التقوى في حِلِّ ما يُتَقَرَّبُ به، وغير ذلك من المرعيات الشرعية وأوامر الورع، فإذا لم يراع الناسُ ذلك، لم تغن عنهم هداياهم وأضحياتهم شيئا وإن كثرت[(١)]. ولأجل هذا المعنى: «جاءت جملة: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾، في موضع التعليل للجملة قبلها: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ﴾ قبلها [الحج: ٣٦]، أي: دل على أنا سخرناها لكم لتشكروني، أنه لا انتفاع لله بشيء من لحومها ولا دمائها، حين تتمكنون من الانتفاع بها، فلا يريد الله منكم على ذلك إلا أن تتقوه...»[(٢)].

١٦- ويؤخذ من هذا تعريضٌ بفعل أهل الجاهلية، وإبطاله، حيث كانوا إذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت، ولطخوه بالدم[(٣)].

١٧- كما أن فيه إيماءً إلى أن إراقة الدماء، وتقطيع اللحوم ليسا مقصودين بالتعبد؛ ولكنهما وسيلة لنفع الناس بالهدايا؛ إذ لا ينتفع بلحومها وجلودها وأجزائها إلا بالنحر أو الذبح، وأن المقصد من شرعها انتفاع الناس

(١) ينظر: الكشاف (٣/ ١٥٨)؛ وأحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٩٨)، قال: «قوله: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ﴾ [الحج: ٣٧] من الألفاظ المشكلة؛ فإن النيل لا يتعلق بالبارئ سبحانه، ولكن عبر به تعبيرا مجازيا عن القبول»؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٧).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٧).

(٣) الكشاف (٣/ ١٥٨)؛ وينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٧)؛ وتفسير أبي السعود (٦/ ١٠٧)؛ والتحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٧)، قال: «والمقصود من نفي أن يصل إلى الله لحومها ودماؤها؛ إبطال ما يفعله المشركون من نضح الدماء في المذابح، وحول الكعبة، وكانوا يذبحون بالمروة».

المهدين وغيرهم[(١)].

١٨- في جملة: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ههنا، ترادفٌ وتأكيدٌ لمدلول جملة: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ في الآية السابقة، وهذا للتنبيه إلى أن الثناء على الله مسخرِها، هو رأس الشكر المنبَّه عليه في تلك الآية السابقة[(٢)].

١٩- في جملة: ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾، ذكر تكبير الله ﷻ عند الذبح، بينما في الآية قبلها ذكرُ اسمه ﷻ: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ [الحج: ٣٦]، فكان ابن عمر رضي الله عنهما يجمع بينهما إذا نحر هديه، فيقول: بسم الله، والله أكبر، قال ابن العربي: «وهذا من فقهه رضي الله عنه»[(٣)].

٢٠- يستفاد من التعبير بـ{على} في جملة: ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾، تضمين التكبير فعل الشكر، أي: شاكرين لله ﷻ ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ إليه من الأمور العظيمة[(٤)]، التي منها: تأدية مناسك الحج، وما أرشدكم إليه إلى طريق تسخيرِ البدن، وما في معناها، وكيفيَّة التَّقرُّبِ بها[(٥)]. أو تكون {على} هي التي للاستعلاء المجازي، المُستعمَلة ههنا في معنى التمكُّن، أي: لتكبروا الله عند تمكنكم من نحرها، على ما هداكم إليه من الأنعام -على أن {ما} موصولة، والعائد محذوف

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٧).
(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٧٠) بتصرف يسير.
(٣) أحكام القرآن لابن العربي، (٣/ ٢٩٩).
(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٥٣-٥٤).
(٥) تفسير أبي السعود (٦/ ١٠٨)، بتصرف لا يضر.

مع جارِّه - في تلك المواقيت؛ لينتفع بها الناس؛ ويرتزق سكان الحرم الذين اصطفاهم الله؛ ليكونوا دعاة التوحيد لا يفارقون ذلك المكان[(١)].

٢١- وفي جملة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وعدٌ لِمن امتثل أمر الله ﷻ محسنا في امتثاله صورةً ومعنىً، بتوفير الثواب له، مثل قوله تعالى السابقة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤][(٢)]. وتغييرُ الأسلوب على خلاف مقتضى الظاهر بالإظهار في مقام الإضمار؛ للإشارة إلى أنهم قد اهتدوا وعملوا بالاهتداء فأحسنوا[(٣)].

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٧٠) بتصرف يسير.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٢٧)؛ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٥٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٧٠) بتصرف يسير.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه الأتمَّان الأكملان الزاكيان الطيبان على رسولِ الرحمة والهدى نبيِّنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذا أوانُ تذييلِ هذا البحثِ - على ما جرت عليه العادة وتستدعيه المناسبة - بخاتمة مشتملة على أهم نتائجه، فمنها:

١- أن هذه الآيات (٢٥- ٣٧) من سورة الحج - كما يُرى في نسقها واتساقها- ينتظمها سياقٌ واحد، من حيث موقعها في سورة الحج، وكذلك من جهة مقاصدها، ودلالاتها وإيحاءاتها، وكونها تدور في فلك وحدة موضوعية واحدة، في سورة واحدة.

٢- أنه، وكما أن الهدايات القرآنية تُرى متناثرة في ثنايا كتب التفسير، مترامية في مطاويها، تصريحا أو تلميحا وإشارة؛ فكذلك الشأن في هدايات وفوائد هذه الآيات من سورة الحج.

٣- أنه إذا كان القرآن الكريم لا تنتهي ولا تنقضي عجائبه؛ فإن هداياته ولطائفه قابلةٌ لأنْ تُمدَّ فتمتد، وأن تُوسَّعَ فتتسع، وإنَّ الشأن لَهُو هو في استخراج الهدايات والفوائد من هذه الآيات من سورة الحج.

٤- تبين أن في النظر العميق المتأني للدلالات المتنوعة للمفردة القرآنية؛ إثراءً لاستنباط كثير من الهدايات القرآنية، بما هو من ضروب إعجاز القرآن

الكريم في نظمه وأسلوبه، وفي وفائه بالمعاني الغزيرة في سعة دلالاتها وسموِّ إيحاءاتها. وكذلك الحال في استخراج هدايات وفوائد هذه الآيات من سورة الحج.

٥- أنه إذا كان المعنى الجامع لمقاصد وأغراض سورة الحج، هو "الحث على التقوى"، كما هو نص عبارة البقاعي يرحمه الله؛ فإن في هذه الآيات منها، تركيزا على أهم وأبرز المعالم التي تُثمر وتجلب التقوى، وذلك هو الحج إلى بيت الله الحرام، وشهود ما هنالك من منافعه الجليلة الدينية والدنيوية.

٦- أن في مستهل سياق هذه الآيات من سورة الحج، تنديدا فظيعا بمن يريد إلحادا في المسجد الحرام: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[الحج: ٢٥]، وكأنما استدعى هذا سياقُ هذه الآيات استدعاءً، إذ إن الإلحاد مِن أخطر ما يعوقُ عن الهداية إلى الصراط المستقيم، وعن مقتضيات التقوى التي هي المقصد العام لسورة الحج، وعن شهود أجلِّ مظاهر خصوصيات الحج: منافعه الدنيوية والدينية.

٧- أن في تبوئة اللهِ خليلَه إبراهيمَ عليه السلام مكان البيت: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾؛ إعلانا وإعلاما بأن يكون هذا البيتُ منذ ذلك الحين رمزا ومنطلَقا لتوحيد الله سبحانه وتعالى، وتحقيق العبودية له سبحانه وتعالى، والبراءة من الشرك بجميع أسبابه وذرائعه من أمور الكفر والفسق والمعاصي.

٨- أنه تبين أن من أنفع الوسائل للعظة بالقرآن الكريم، والنصح به، إيضاحَ هداياته وتيسير الوقوف عليها، في أيٍّ من الموضوعات القرآنية، وهو نفسه الأمر المتوخَّى في استخراج هدايات وفوائد هذه الآيات من سورة الحج.

هذا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن، لابن العربي المالكي، علَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٣، ١٤٢٤ هـ.

٢- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٣- أسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة محمد ناصر الدوسري، دار ابن الجوزي – الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٤- إعراب القرآن، للنحاس، علق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ.

٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر -بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٦- البدر المنير لابن الملقن المحقق: مصطفى أبو الغيط وغيره، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، ١٤٥٢هـ.

٧- البرهان في تناسب سور القرآن، لابن الزبير الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠ م.

٨- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين الفيروزآبادي، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، بدون تاريخ.

٩- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد ابن عاشور، الدار التونسية للنشر -تونس، ١٩٨٤م.

١٠- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ.

١١- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.

١٢- التعريفات، للجرجاني، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٣- التفسير البسيط، للواحدي، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، ط١، ١٤٣٠ هـ.

١٤- تفسير البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

١٥- تفسير السعدي، ط١، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٦- تفسير عبد الرزاق، دراسة وتحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

١٧- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع -ط٢، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

١٨- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، لمساعد بن سليمان الطيار، دار ابن

الجوزي – السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ.

١٩- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٢٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر -دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.

٢١- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ ابن حجر، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس، مؤسسة قرطبة-مصر، ط١، ١٤١٦هـ.

٢٢- توضيح الأحكام من بلوغ المرام، للشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن ابن صالح البسام، مكتَبة الأسدي-مكّة المكرّمة، ط٥، ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٣ م.

٢٣- التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، عالم الكتب-القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير أبي جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة -بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٥- جامع الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وغيره، مكتبة مصطفى البابي الحلبي -مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ.

٢٦- دراسات في علوم القرآن، لفهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة الملك فهد الوطنية-الرياض، ط١٤، ١٤٢٦هـ.

٢٧- دلالة السياق، لردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، معهد البحوث العلمية -جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٨- دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير من خلال تفسير ابن جرير، لعبد الحكيم بن عبد الله القاسم، دار التدمرية -الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ.

٢٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

٣٠- الاستدلال في التفسير – دراسةٌ في منهج ابن جرير الطبري في الاستدلال على المعاني في التفسير، لنايف بن سعيد بن جمعان الزهراني، مركز تفسير للدراسات القرآنية – الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ.

٣١- سنن أبي داود المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية – بيروت.

٣٢- السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، لسعد بن محمد بن سعد الشهراني، كرسي القرآن وعلومه بجامعة الملك سعود - الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٣٣- السياق القرآني وأثره في التفسير، للباحث عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري (رسالة ماجستير)، بجامعة أم القرى – مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ.

٣٤- السنن الكبرى، للبيهقي، المحقق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٣، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م.

٣٥- الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧ م.

٣٦- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المحقق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

٣٧- صحيح البخاري اعتني به: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المنهاج-جدة، ط٣، ١٤٣٦هـ.

٣٨- صحيح مسلم تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت بدون تاريخ.

٣٩- الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، لحكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة-المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م.

٤٠- طرق استخراج العلماء للهدايات القرآنية، لطه عابدين حمد، مكتبة المتنبي-الدمام، ط١، ١٤٤١هـ.

٤١- عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية -بيروت، ١٤١٨ هـ.

٤٢- فتح القدير، للشوكاني اليمني، دار ابن كثير -دمشق، ط١، ١٤١٤هـ

٤٣- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٨، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م.

٤٤-قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، لعبير بنت عبد الله النعيم، دار التدمرية -الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥ م.

٤٥- قواعد التفسير، لخالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان -القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٤٦- الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ط٣، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧ م.

٤٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، دار الكتاب العربي -بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٤٨- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر -بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٩- المجموع المهذب، للنووي، دار الفكر – بيروت.

٥٠- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، لخالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي – الدمام، ط١، ١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦ م.

٥١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٢- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م.

٥٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي -القاهرة، ١٤١٤هـ.

٥٤- مجموع فتاوى الشيخ ابن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

٥٥- مستدرك الحاكم تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية -بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٥٦- مسند البزار، المحقق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٩م.

٥٧- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي، مكتبة المعارف – الرياض، ط١، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٧ م.

٥٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، المحقق: محمد عبد الله النمر وآخران، دار طيبة -ط٤، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

٥٩- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨ م.

٦٠- المعاني الكبير في أبيات المعاني، لابن قتيبة الدينوري، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى اليماني، مطبعة دائرة المعارف العثمانية -حيدر آباد الدكن بالهند، ط١، ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م.

٦١- مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٦٢- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم-دمشق، ط١، ١٤١٢ هـ.

٦٣- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، لمساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي -السعودية، ط٢، ١٤٢٧هـ.

٦٤- المقاصد الكبرى للقرآن الكريم، لطه عابدين حمد (نسخة إلكترونية).

٦٥- المعجم الكبير، للطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢.

٦٦- مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر -بيروت، بدون تاريخ.

٦٧- مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٦٨- منهج الاستنباط من القرآن الكريم، لفهد الوهبي، معهد الشاطبي للقراءات – جدة، ط١، ١٤٢٨، ٢٠٠٧م.

٦٩- الموافقات، للشاطبي، حققه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ.

٧٠- النبأ العظيم، لمحمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ.

٧١- نصب الراية لأحاديث الهداية، للزيلعي، المحقق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية-جدة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٧٢- نظم الدرر في تناسب الآي والسور، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

٧٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: محمود محمد الطناحي وآخر، المكتبة العلمية -بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

٧٤-الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي المالكي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م.

٧٥-الهدايات القرآنية – دراسة تأصيلية، لطه عابدين حمد وآخرين، مكتبة دار المتنبي -الدمام، ط١، ١٤٣٨هـ.

٧٦-الهدايات القرآنية في سورة البقرة من آية: (٧٥-١٤٢)، للباحث: لمحمد يحيى سعد آل منشط، رسالة دكتوراة بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، برقم: (٢٤٠١٢)، ١٤٤١هـ، في المكتبة المركزية بالجامعة.

٧٧-الهدايات القرآنية في سورة البقرة من آية: (١٤٢-٢٠٢)، للباحث: محمد إبراهيم محمد الدهيس، رسالة دكتوراة بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، برقم: (٢٤٥٨٠)، ١٤٤١هـ -المكتبة المركزية بالجامعة.

REFERENCES

1- Atta, M. (Ed). (1424H). Ahkaam al Quraan BY ibn al Arabi al Maaliki. Beirut. Dar al Kotob al Ilmiyah

2- Mustafa, M. , Sondos, M. (1426H). Eehkaam al Ahkaam Sharah Omdat al Ahkaam BY ibn Daqeeq al Eead. As Sunnah al Mohamadiyah Publication

3- Asmaa Suwar al-Quraan wa Fadaelaha BY Monerah bin Mohammed ibn Nasser ad Dosari. (1426H). Ar Riyaad. Dar ibn al Jawazi

4- Ibraahim, A. (Ed). (1421H). Eearaab al Quraan BY an Nahaas. Beirut. Dar al Kotob al Ilmiyah

5- Adwaa al Bayaan fi Eedaah al Quran bel Quran BY Mohammed al Amen ibn Mohammed al Moktaar ibn Abdul Qaader al Janki ash Shenqeeti. (1415H). Beirut. Dar al Fikir

6- Abu al Geet, M. , others. (Eds). (1425H). Al Badoor al Moneer BY ibn al Molageen. Ar Riyadh. Dar al Hijrah publication.

7- Al Burhaan fi Tanaasub Suwar al Quraan BY ibn az Zubeer

al Qurnaati. Morocco. Ministry of Endowments and Islamic Affairs

8- An Najaar, M. (Ed). (1412H). Basaaer dawi at Tamyiez fi Lataef al Kitab al Aziz BY Majd ad Din Abu Tahir Mohammed ibn Yaqoob al Fayrziabadi. Cairo. Eehyaa at Torath al Islami Commission.

9- At Tahreer wa at Tanweer BY Mohammed at Taher ibn Mohammed ibn Aashoor. (1404H). Tunisia. Ad Dar Tooneseyah for publication

10- Tohfat al Ahoodhi be Sharah Jaamea at Tirmidhi BY Mubarakpuri. Beirut. Dar al Kotob al Ilmiyah

11- Al Khaalidi, A. (Ed). (1416H). At Taseheel le Aoloom at Tanzeel BY ibn Jazi al Kalbi al Qurnaati. Beirut. Dar al Arqam ibn Abi al Arqam Company.

12- At Tarifaat BY al Jarjaani. (1403H). Beirut. Dar Kotob al Ilmiyah publication

13- At Tafseer al Baseet BY al Waahidi. (1430H(.

Mohammed ibn Saud university, Deanship of Scientific Research.

14- Al Maraashlee, M. (Ed). (1418H). Tafseer al Baydaawi.

Beirut. Dar Eehyaa at Torath al Arabi.

15- Al Lowayhaaq, A. (Ed). (1420H). Tafseer as Sa'di. Ar Resalah publication

16- Abdu, M. (Ed). (1419H). Tafseer Abdul Razaaq. Beirut.

Dar Kotob al Ilmiyah publication

17- Salaamah, S. (1412H). Tafseer al Quraan al Adeem BY Abu al Feda Ismael ibn Katheer. Beirut. Dar Taybah publication

18- At Tafsser al Lagawi lil al Quran al Kareem BY Mosaaed ibn Solimaan at Tayyar. (1432H). KSA. Dar ibn al Jawazi.

19- Tafseer al Manaar BY Mohammed Rasheed Redaa. (1409H). General Egyption Commission for Books

20- At Tafseer al Moneer fi al A'qeedah wa ash Shareea'a wa al Manhaj BY Wahbah az Zeheeli. (1418H). Damascus. Dar al Fikir al Moa'aaser

21- Aabaas, A. (Ed). (1416H). At Talkees al Habeer fi Takhreej Ahaadeeth ar Refa'ai al Kabeer BY al Haafed ibn Hajar. Egypt. Qurtubah Publication

22- Tadheeh al Ahkaam men Bolooq al Maraam BY Abdullah ibn Abdul Rahman ibn Saaleh al Basaam. (1423H). Makkah. Makatabat al Asadi

23- At Tawqeef ala Mohemaat at Ta'aareef BY al Manaawi. (1410H). Cairo. A'aalam al Kotob

24- Shakir, A. (Ed). (1420H). Jaamea al Bayan an Taweel aay al Quraan BY Mohammed ibn Jarir Abi Jaa'faar at Tabari. Ar Resalah publication

25- Shakir, A. , & others. (Eds). Jaamea at Tirmidhi. Egypt.

Makatabat Mustafa al Baabi al Halabi

26- Deraasaat fi A'oloom al Quraan BY Fahad ibn Abdul Rahman ar Roomi. (1426H). Riyadh. King Fahad National Library.

27- Dalaalat as Seyaaq BY Redah Allaah ibn Redah ibn Deef Allaah at Talahi. Umm al Qura University. Scientific Research institute

28- Dalaalat as Seyaaq al Quraani wa Atharahaa fi at Tafseer men Khelaal Tafseer ibn Jarir BY Abdul Hakeem ibn Abdullah al Qaasem. (1433H). Riyadh. Dar at Tadmereeyah

29- Ateyah, A. (Ed). (1415H). Rooh al Ma'aani fi Tafseer al Quraan al Adeem wa as Saba al Mathaani BY Shehaab ad Din al Alusi. Beirut. Dar Kotob al Ilmiyah publication 30- Al Estedilaal fi at Tafseer – Deraasah fi Manhaj ibn Jarir at Tabari fi al Estedilaal ala al Ma'aani fi at Tafseer

BY Naif ibn Sa'eed ibn Jam'aan az Zaharaani. (1436H). Riyadh. Tafseer Center for Quran Studies

31- Abdul Hamid, M. (Ed). Sunan Abi Dawood. Beirut. Al Makatabah al A'asereeyah

32- As Seyaaq al Quraani wa Atharah fi at Tafseer al Madarasah al A'aqleyah al Hadeetha BY Saad ibn Mohammed ibn Saad ash Shaharaani. (1426H(

33- As Seyaaq al Qurani wa Atharah fi at Tafseer BY Abdul Rahman Abdullah al Meteeri(MA Thesis). (1429H). Makkah. Umm al Qura University

34- Atta, M. (Ed). (1424H). As Sunan al Kubra BY al Bayhaqi. Beirut. Dar al Kotob al Ilmiyah publication

35- Atta, A. (Ed). (1407H). As Sehaah BY al Jawhari.

Beirut. Dar al Elm Lilmaalayeen

36- Al Arnaoot, S. (Ed). (1414H). Saheeh ibn Habbam Betarteeb ibn Balbaan. Beirut. Ar Resalah publication.

37- An Nasser , N. , Abdul Baaqi, M. (Eds). (1436H(.

Saheeh al Bukhari. Jeddah. Dar al Menhaaj publication.

38- Abdul Baaqi, M. (Ed). Saheeh Muslim. Beirut. Dar Eehyaa at Torath al Arabi.

39- As Saheeh al Masboor men at Tafseer bel al Ma'thoor BY Hekmat ibn Basheer ibn Yaaseen. (1420H). Medina. Dar al Maathar publication

40- Toroq Estekhraaj al A'lamaa lil Hedayaat al Quraaneeyah BY Taha A'aabedeen Hamad. (1441H). Ad Damaam. Makatabat al Motanabi

41- A'yoon al Akhbaar BY ibn Qutaybah ad Daynoori. (1418H). Beirut. Dar al Kotob al Ilmiyah publication

42- Fatah al Qadeer BY ash Shawkaani al Yamani. (1414H). Dar ibn Katheer. Damascus

43- Al Gaamoos al Moheet BY Fayrziabadi. (1426H(.

Beirut. Ar Resalah publication

44- Qawaaed at Tarjeeh al Mota'aleqah be an Nas end ibn A'aashoor fi Tafseerah at Tahreer wa at Tanweer BY Aabeer bnet Abdullah an Na'eem. (1436H). Dar at Tadmereeyah

45- Qawaaed at Tafseer BY Khaalid ibn Othmaan as Sabat. (1426H). Cairo. Dar ibn Aafaan

46- Ibraahim, M. (Ed). (1417H). Al Kaamel fi al Logha wa al Aadab BY Mohammed ibn Yazeed al Mobarad. (1417H). Cairo. Dar al Fikir al Arabi

47- Al Kashaaf an Haqaaeq Ghawaamed at Tanzeel BY Az Zamakhshari. (1407H). Beirut. Dar al Kitaab al Arabi

48- Lesaan al Arab BY ibn Mandoor. (1414H). Beirut. Dar Sadeer

49- Al Majomooa al Mohadab BY an Nawawi. Beirut. Dar al Fikir

50- Al Moharer fi Asbaab Nozool al Quran men Khelaal al Kotob at Tesea'ah BY Khaalid ibn Solimaan al Mazeeni. (1427H). Ad Damaam. Dar ibn al Jawzi

51- Mohammed. A. (Ed). (1422H). Al Moharer al Wajeez fi Tafseer al Kitaab al Aziz BY ibn Atiyah al Andolosi. (1422H). Beirut. Dar al Kotob al Ilmiyah

52- Habdawi, A. (Ed). (1421H). Al Mohkaam wa al Moheet al A'atham BY ibn Seedah al Marsi. Beirut. Dar al Kotob al Ilmiyah publication.

53- Al Qudesi, H. (Ed). (1414H). Mojamaa az Zawaed wa Manbaa al Fawaeed BY al Hithamee. Cairo. Mak'tabat Al Qudesi publication.

54- Ash Showaeer, M. (Ed). Majomoo'a Fatawee ibn Baaz BY ibn Baaz

55- Ataa, M. (Ed). (1411H). Mosatadark al Hakim. Beirut.

Dar al Kotob al Ilmiyah publication

56- Saad, A. (Ed). (1430H). Mosnad al Baraar. Al Medina.

Oloom and Hikam Bookstore.

57- Masaaed an Nadar Lil Eshraaf ala Maqaased as Sowar BY Beqaa'ai. (1408H). Riyadh. Mak'tabat al Ma'aareef publication

58- An Nemer, M. , & others (Eds). (1417H). Ma'aalem at Tanzeel fi Tafseer al Quraan BY al Baghawi. Dar Taybah 59- Shalabi, A. (Ed). (1408H). Ma'aani al Quraan wa

Eera'aabah BY Az Zujaaj

60- Al Yamaani, A. (Ed). (1368H). Al Ma’aani al Kabeer fi Abyaat al Ma’aani BY ibn ibn Qutaybah ad Daynoori. Matabaat Daaerat al Ma'aareef al Othmaaneyah

61- Mafateeh al Ghayb (At Tafseer al Kabeer) BY Fakhar ad Din ar Razi. (1420h). Beirut. Dar Eehyaa at Torath al Arabi

62- Ad dawoodi, S. (Ed). Al Mofradat fi Ghareeb al Quraan BY al Asfahaani. (1412H). Dar al Qalam

63- Mafohoom at Tafseer wa at Taweel wa al Estenbaat wa at Tadabor wa al Mofaser BY Mosaaed ibn Solimaan at Tayyar. (1427H). KSA. Dar ibn al Jawzi.

64- Al Maqaseed al Kubraa Lil Quran al Kareem BY Taha A’aabedeen Hamad.

65- As Salafi, A. (Ed). Al Mojaam al Kabeer BY at Tabaraani. Cairo. Makatabat ibn Taymiyah

66- Haroon, A. (Ed). Maqaayees al Loqah BY ibn Fares.

Beirut. Dar al Fikir

67- Al Hoot, K. (Ed). (1409H). Mosanaf ibn Abi Shaybah.

Riyadh. Makatabat ar Rushd

68- Manhaj al Estenbaab men al Quran al Kareem BY Fahad al Wahbi. (1428H). Jeddah. Emam ash Shaatibi institute

69- Al Salmaan, A. (Ed). (1417H). Al Mowafaqaat BY ash Shaatibi. Dar ibn Aafaan.

70- Mustafa, A. (Ed). (1426H). An Nabaa al A'deem BY Mohammed ibn Abdullah Daraaz. Dar al Qalam

71- A'awaamah, M. (Ed). (1418H). Nosob ar Raayah le Ahaadeeth al Hedayaa BY az Zayla'aee. Jeddah. Dar al Qiblah

72- Nodom ad Dorar fi Tanaasob al Aay wa as Sowar BY al Beqaa'ai. Cairo. Dar al Kitaab al Islaami.

73- At Tanaahi, M. (Ed). (1399H). An Nehaayah fi Ghareeb al Hadeeth wa al Athar BY ibn al Atheer al Jazari. Beirut. Al Makatab al Ilmiyah publication

74- Al Hedaayah ela Boloog an Nehaayah BY Maki ibn Abi Taalbar al Qeesi al Qayrwaani al Andolosi al Qurtobi al Maaliki.

75- Al Hedaayaat al Quraaiyah BY Tahaa A'aabedeen Hamad & others. (1438H). Ad Damaam. Makatabat Dar al Motanabi.

76- Al Hedaayaat al Quraaiyah fi Surat al Baqarah men Aayat 75-142 BY Mohammed Yahyaa Saad ad aal Monshat. PhD Thesis. Umm al Qura University. Al Makatabah al Markazeyah

77- Al Hedaayaat al Quraaiyah fi Surat al Baqarah men Aayat 142-202 BY Mohammed Ibraahim Mohammed ad Dehees. PhD Thesis. Umm al Qura University. Al Makatabah al Markazeyah